رحلة هونغ كونغ وماكو

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

ⓒ **محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٣هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

هونغ كونغ وماكاو - الرياض.

١٨٢ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك : ٧ - ٥٣١ - ٤١ - ٩٩٦٠

١- الإسلام - الصين ٢- هونغ كونج - وصف ورحلات

أ- العنوان

ديوي ٩٥١ ٢٣/١٦٦٩

رقم الايداع ٢٣/١٦٦٩

ردمك : ٧ - ٥٣١ - ٤١ - ٩٩٦٠

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف.

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض -المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م..

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض غام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.



(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت، عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز -، وهو هذا الكتاب.

(٨١) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م..

(٨٢) ((على سقف العالم)) رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨٤) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨٥) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨٦) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٧) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٨) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٨٩) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٠) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩١) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٢) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٩٣) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٤) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٥) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩٦) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٧) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٨) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٩٩) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٠٠) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠١) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٠٢) « العالم الإسلامي: واقع وتوقعات » نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(١٠٣) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٤) ((حِكَمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٥) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١٠٦) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي عمنا فضله، وتواصلت علينا نعماؤه، وأعطانا أكثر مما كانت وصلت إليه آمالنا من الاطلاع على أحوال المسلمين في سائر بلاد العالم.

فنحمدك اللهم حمداً مضاعفاً، ونشكرك شكراً يكافئ جزيل نعمك، وعظيم آلائك.

ونصلي ونسلم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله الذي وصلت دعوته بفضل منك، ولطف بعبادك إلى سائر البلاد البعيدة عن بلاده، حتى اهتدى بها أناس، لم يكونوا يعرفون بلاده، ولا سمع أهلوهم قبلهم حتى بدعوته من قبل.

فصارت بلادهم بعد أن صار فيها منهم مسلمون مَراداً لنا، ومقصداً لسفرنا ورحلاتنا. وذلك كله بفضلك وتيسيرك، حتى شملت رحلاتنا تلك أقطار العالم القصي من المنطقة الواقعة تحت الدائرة القطبية الشمالية إلى أقصى المعمور في نيوزيلندا والقارة الأمريكية الجنوبية.

وحتى طبقت المشرقين والمغربين، وما كان منهما بالنسبة لبلادنا بين بين.

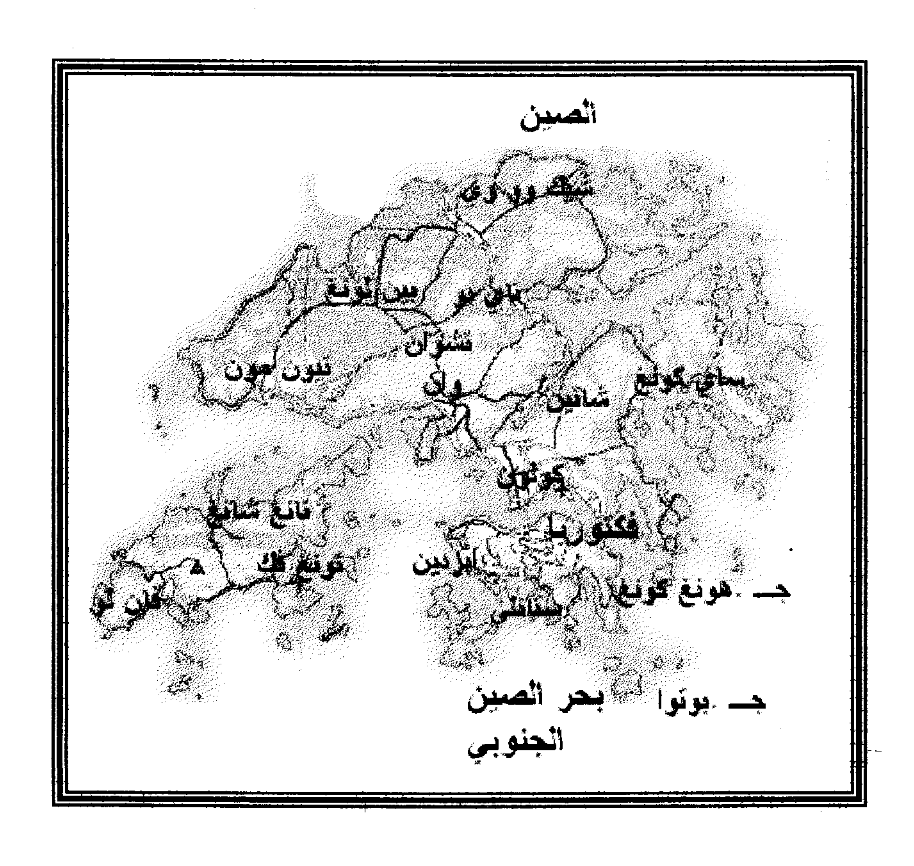
أما بعد، فإن هذه رحلة قصيرة، ونظرة عاجلة إلى مهمة

صغيرة في هونغ كونغ التي لا أستطيع أن أسميها جزيرة، لأنها جزيرة صغيرة تتبعها أرض كبيرة بالنسبة إلى صغرها، ولكن الإنكليز الذين يستعمرونها قد عوضوها عن صغر الأرض قوة في التجارة، وتسهيلاً في الإدارة، حتى صارت مقصد التجار، ومرفأ البحار.

ولكننا لم نذهب إليها مدفوعين بالتجارة، ولا برؤيتها بعد أن ضمت بموجب ترتيب خاص إلى أمها غير الحنون على أولادها الصين التي كانت تسمى شعبية، وهي الآن الصين بدون أن تحتاج إلى وصف أو بيان بسيئة أو سنية.

وقد تركت القلم يداعب الورق بما شاهده البصر، أو لمحه الفكر في (هونغ كونغ)، وجارتها في الموقع، ورفيقتها في بنوة الاستعمار منطقة (ماكاو)، بما سوف تقرؤه من سطور، وإن لم يأتِ ذلك ببدائع من البيان، أو يغوص إلى حقائق خافية عن الأذهان، والله المستعان، وعليه التكلان.

هونغ كونغ *محمد بن ناصر العبودي*


الصين
شاتين
ساي كونغ
فكتوريا
جـ .هونغ كونغ
جـ .بوتوا بحر الصين
الجنوبي

هونغ كونغ



سبب الرحلة:

سبب الرحلة هو كتاب وردنا من سفارة بلادنا في بكين عن طريق وزارة الخارجية السعودية يقول: إن الشيخ محمد طيب القاسمي إمام جامع كولون الكبير في هونغ كونغ، قد تقدم بطلب إلى السفارة السعودية بأن تبعث رابطة العالم الإسلامي إلى هونغ كونغ بعدد من العلماء من أئمة الحرمين الشريفين وغيرهم ليلقوا محاضرات وإرشادات للمسلمين في (هونغ كونغ)، قياساً على رحلة قام بها إمام من الحرمين الشريفين هو الشيخ سعود بن شريم، ومعه اثنان من العلماء من مكة المكرمة، فألقوا محاضرات مفيدة، وأرشدوا المسلمين ونبهوهم إلى أشياء كثيرة، رغم كون محاضراتهم بالعربية التي لا يعرفها المسلمون هناك، ولكن إفهامهم كان يتم بالترجمة إلى الإنكليزية.

وقد رغبت السفارة من رابطة العالم الإسلامي استطلاع واقع الأمر بالنسبة إلى عدم وجود موانع من ذلك، لأن في مسلمي هونغ كونغ الذين يقدر عددهم بـ٨٠ ألفاً من جاء ببدع أو بمفهومات خاصة من بلاده الأصيلة التي كانوا فيها قبل الهجرة إلى هونغ كونغ، وفيها تشويش على العقيدة السلفية الصافية.

إضافة إلى وجود القاديانيين الذين ينشطون في العادة في البلدان التي كانت مستعمرات بريطانية، بسبب العلاقة الوثيقة

بين الاستعمار البريطاني ونحلة القاديانية.

لذلك رأت رابطة العالم الإسلامي أن تستقصي الأمر قبل الإجابة على الطلب، وتقرر أن أذهب أنا إلى هونغ كونغ لهذا الغرض، ولكن إنشاء سفرة إلى هونغ كونغ وحدها يأخذ من وقتي أكثر مما كنت أنفقه على الرحلات إلى البلدان الصغيرة مثل هذه، إذْ من النادر أن أقوم برحلة خاصة لبلد أو قضية في بلد بمفردها، وإنما يكون ذلك ضمن مهمة أخرى، وحسب خط سير في بلاد ثانية تتسم زيارتها بالأهمية.

لذلك رأينا أن نرجئ الذهاب إلى (هونغ كونغ) إلى أعقاب زيارة ننوي القيام بها للصين الأم، حيث اتفقت مع الجمعية الإسلامية الصينية في بكين على ذلك، وإنْ لم يحدد موعدها.

غير أنه جد في الأمر جديد، وهو أن رابطة العالم الإسلامي تلقت طلباً من الجبهة الإسلامية لتحرير مورو في جنوب الفلبين تخبرها فيها أن المباحثات السلمية بينها وبين حكومة الفلبين التي تقاتلها سوف تفتتح قريباً، بعد أن توصلت لجنة مشتركة تمهيدية منهما إلى ذلك.

وتطلب الجبهة من الرابطة أن تشترك في حضور الاحتفال الكبير الذي سيقام بهذه المناسبة، فكانت الاستجابة لهذه الدعوة هي الفرصة التي ينبغي أن تنتهز بالمرور على (هونغ كونغ) بعد

الانتهاء من زيارة جنوب الفلبين، والنظر في هذا الموضوع.

وكنت زرت هونغ كونغ زيارة مبكرة بالنسبة إلى كتابة هذه الكتب، أو على الأدق المذكرات عن زيارات المسلمين في العالم، وكان ذلك عندما مررت بها لأول مرة في عام ١٣٩٧هـ الموافق لعام ١٩٧٧م، وكنت وقتها قادماً من الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث حضرت مع رفيقي في السفر آنذاك الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين الذي كان عقد في بلدة (بلو منغتون) القريبة من مدينة (إنديانا بولس) عاصمة ولاية إنديانا الأمريكية، وقررنا أن نعود إلى بلادنا من جهة الشرق انتهازاً للفرصة، ولظننا أننا ربما لا تتاح لنا مثل هذه العودة من الشرق في المستقبل.

وشجعنا على ذلك في ذلك الحين أننا لم نخسر شيئاً، إذْ حولنا بعض أجزاء من تذاكر الرحلة التي هي بالدرجة الأولى إلى السياحية، فلم نحتج إلى زيادة لها من المال.

وقد سافرنا إلى غرب الولايات المتحدة الأمريكية ثم إلى (هونو لولو) عاصمة جزر هاواي، ثم اليابان، فكوريا، ثم الصين الوطنية، ومن هناك تعجل الشيخ عبد الله بن منيع العودة لأسباب خاصة به، وواصلت أنا السفر إلى هونغ كونغ وحدي، ومنها سافرت إلى تايلند مروراً بمطارها ولم أدخلها، وليس معنى ذلك

أنني لم أعرفها، فقد عرفتها بعد ذلك، وكتبت عنها كتاباً عنوانه ((**مشاهدات في تايلند**))، ومن مطار بانكوك سافرت إلى البحرين، ثم الرياض. وقد سجلت شيئاً من انطباعاتي عن الزيارة الأولى في الكتاب الثاني من الكتب الكثيرة التي كتبتها في الرحلات وعنوانه: ((**وراء المشرقين**)). ولم يكن قبله من المطبوع من كتبي في الرحلات إلا: ((**في إفريقية الخضراء**)).

إلا أن من العجيب الذي تعجبت منه أنا نفسي أن ذلك الكتاب الذي هو ثاني الكتب، وهو أول كتاب ذكرت فيه أول رحلة لي حول العالم لم يطبع بعد، على حين أنني طبعت حتى الآن (٨٢) كتاباً في الرحلات، كلها بعده من مجموع الكتب التي كتبتها بعده، وهو ١٧٦كتاباً.

ولا أدري السبب في ذلك، إلا أنني - وأؤكد أن ذلك صحيح - أنسى عندما أفكر في طبع كتاب من كتبي ذلك الكتاب القديم، ولا أذكره إلا إذا ذكرني به مذكر من إنسان، أو واقعة أو نحو ذلك.

ثم زرت (هونغ كونغ) في أعقاب أول زيارة قمت بها إلى الصين الشعبية على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي، كان عدد أعضائه ستة، وامتدت الزيارة في الصين لشهر كامل، استضافتنا خلاله حكومة الصين الشعبية ضيافة كاملة، حتى

تذاكر السفر داخل الصين، مع أننا كنا قطعنا تذاكر لنا من بلادنا، وكان ذلك في عام ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

فبعد أن انتهت زيارتنا لمدينة (كانتون) التي يسميها الصينيون الآن (قوانقشو) سافرت إلى هونغ كونغ مع بعض أعضاء الوفد، فزرناها وقيدت شيئاً عنها في مذكرة خاصة لم تلحق بكتاب.

أما زيارة الصين الأولى تلك، فقد كتبت فيها ثلاثة كتب، آخرها طبع في مجلدين عنوانه: ((**داخل أسوار الصين**)) والثاني: ((**في جنوب الصين**))، وهو مطبوع أيضاً نشرته رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة كتبها (دعوة الحق).

وأما الكتاب الثالث فإنه خاص بما كان معروفاً عندنا بتركستان الشرقية، ونعرف أهله في بلادنا بالبخاريين مع بعدهم عن مدينة بخارى مدينة الإمام البخاري صاحب الصحيح، وعنوانه: ((**مهد الترك**))، ولا يزال مخطوطاً بسبب الحرص على أن تظل العلاقة ما بين رابطة العالم الإسلامي وحكومة الصين الشعبية متصلة لصالح المسلمين، لأن الكتاب يفضح سياسة الصين تجاه الإخوة المسلمين الذين يعيشون في تلك المنطقة المعروفة عالمياً باسم (سنكيانغ) ويسميها الصينيون (شن جاك) بمعنى: الأرض الجديدة المكتسبة، وهذا مفهوم استعماري استيطاني كما هو ظاهر.

هونغ كونغ:

تبلغ مساحة هونغ كونغ ١٠١٣ كيلومتراً، تتألف من جزيرة هونغ كونغ التي مساحتها ٨٣ كيلو متراً مربعاً، وشبه جزيرة كولون التي مساحتها ٨ كيلومترات أيضاً، والمقاطعات الجديدة التي مساحتها ٩٣٠ كيلو متراً، وسكان هونغ كونغ ستة ملايين ونصف، فهي بهذا تعتبر من أكثر مناطق العالم ازدحاماً بالسكان، ولكن اقتصادها الحر الذي بني على مدى عشرات السنين قد جعل مستوى المعيشة فيها مستوىً عالياً يفوق بمراحل مستوى المعيشة داخل الصين الشعبية.

تأريخ هونغ كونغ:

وقعت هونغ كونغ تحت الإدارة البريطانية نتيجة لما سمي بحرب الأفيون في الصين في القرن قبل الماضي، فعندما تم وضع شروط السلام في ١٨٤١م في معاهدة نانكنغ، وافق إمبراطور الصين على إعطاء بريطانيا قاعدة تجارية منفصلة، ولكن اسم المنطقة المنفصلة ترك فراغاً حتى التوقيع في السنة التالية، عندما كانت هونغ كونغ قد أصبحت بالفعل ميناءً حياً تديره بريطانيا، أما شبه جزيرة كولون فقد تم ضمها بموجب مؤتمر بكين ١٨٦٠م.

وفي عام ١٨٩٨ تم استئجار الأراضي الجديدة من الصين لمدة

٩٩سنة.

فكانت هونغ كونغ تدار بريطانياً منذ ذلك الوقت -باستثناء أربع سنوات خلال الحرب العالمية الثانية عندما تم احتلال المنطقة من اليابانيين- حتى تمت إعادة وتسليم المنطقة للصين في يوليو ١٩٩٧م.

وأما الشروط التي تمت بموجبها إعادة هونغ كونغ إلى الصين فقد وقع عليها في اتفاق بين الحكومتين الصينية والبريطانية في ديسمبر ١٩٨٤م.

وبجانب تأكيد شروط الاتفاقيات السابقة، شملت اتفاقية ١٩٨٤م ضمانات لمستقبل هونغ كونغ، خاصة تمتع المنطقة بدرجة عالية من الاستقلالية، خصوصاً في المجال الاقتصادي حيث سيظل نظامها الحالي بدون تغيير بدرجة كبيرة، وذلك تحت شعار « دولة واحدة ونظامين » الشعار الذي ابتكره الصينيون لوصف النظام المستقبلي وعلاقته مع الصين الأم، وفي مجالي الشؤون الخارجية والدفاع ستكون الإدارة الجديدة لهونغ كونغ خاضعة لرأي بكين.

وكانت نقطة النزاع الرئيسية خلال الفترة السابقة للتسليم كانت التمثيل السياسي، فتحت النظام الاستعماري التمثيل الديمقراطي ظل تقليدياً في الحد الأدنى، ففي الوقت الذي كانت فيه السلطات التنفيذية متركزة بقوة في يد الحاكم، نجد المجلس

التشريعي: الذي تم انتخاب عدد قليل من أعضائه قبل مدة طويلة، مجرد رمز للتمثيل الديمقراطي، وقد اقتنع الصينيون بتركه على ذلك الحال، كما فعل البريطانيون، باستثناء آخر حاكم للمستعمرة، وهو الوزير المحافظ السابق كريس باتن الذي تسلم منصبه في ١٩٩٢م، فقد سعى لإصلاح المجلس التشريعي لجعل كل أعضائه الستين ينتخبون ولو بموجب نظام انتخابي مصمم لاستبعاد معارضي السلطات الاستعمارية، ومنعهم من الحصول على تأثير هام.

وقد عقدت الانتخابات في ١٩٩٥م وفاز فيها الحزب الديمقراطي فوزاً ساحقاً، حيث حصل على ٥٤٪ من الأصوات مقابل ٢٧٪ للحزب الديمقراطي لتحسين هونغ كونغ و(الـ ٩٪ المتبقية ذهبت إلى أحزاب صغيرة متنوعة التوجهات).

ولكن هذا لم يضع في الاعتبار خصوصية المجلس التشريعي ونظامه الانتخابي الذي أعطى الحزب الديمقراطي لتحسين هونغ كونغ أغلبية عملية ضئيلة.

وبعد الانتهاء من الانتخابات، واصل الصينيون استعداداتهم لتسلم المستعمرة في ١٩٩٧م. فقد تم إنشاء لجنة إعدادية لتسهيل وتمهيد طريق التسلم، وقد أصبحت الشخصية التي ستختارها الصين كرئيس وزراء للمقاطعة الجديدة النقطة الرئيسية مثار

الاهتمام، من بين عدد من المرشحين، وأصبح يتجلى تدريجياً أن ملك الملاحة تنغ تشى هو مرشح بكين، فبمجرد تثبيته بعد تسلام الجزيرة ككبير للمسؤولين التنفيذيين، الأمر الذي حدث كما كان مخططاً له في احتفال حضره عدة آلاف من الشخصيات المهمة من أنحاء العالم، أعلن تنغ أن الانتخابات للمجلس التشريعي الجديد ستعقد في مايو ١٩٩٨م، وقد حصل الحزب الديمقراطي الذي يساند بدرجة كبيرة كبير التنفيذيين على غالبية المقاعد بموجب النظام الانتخابي الذي يتبع بدرجة كبيرة ذلك النظام الذي استخدمه البريطانيون.

وقد ظلت هونغ كونغ ذات الإدارة الخاصة تعمل كما كانت سابقاً، ولكن الشغل الشاغل الرئيسي منذ تسلم المنطقة ظل الاقتصاد وأثر الأزمة المالية الآسيوية، إلا أن قوة اقتصاد هونغ كونغ ورسوخه منعت الدمار الكبير للاقتصاد، الذي تكيف بدرجة كبيرة مع حكومة بكين.

الحكومة: هونغ كونغ الآن منطقة إدارية خاصة بجمهورية الصين الشعبية، تحت النظام الأساسي الذي هو الوثيقة الحاكمة للمنطقة، والسلطة التنفيذية بيد كبير المسؤولين التنفيذيين، الذي يتم تعيينه بواسطة لجنة انتخاب من ٤٠٠ عضو، وذلك المسؤول يبلغ مجلس الدولة بجمهورية الصين الشعبية، ويعمل لمدة ٥ سنوات، ويقوم بتعيين مجلس تنفيذي من ١٥ عضواً للمساعدة في إدارة

المنطقة.

أما الهيئة التشريعية في هونغ كونغ فهي مجلس من ٦٠عضواً، ٢٠ عضواً ينتخبون مباشرة حسب الدوائر الجغرافية، و٣٠ عضواً ينتخبون ضمن الدوائر الوظيفية، والـ١٠ الباقون تختارهم لجنة انتخاب مكونة من ٨٠٠ من ممثلي المجتمع.

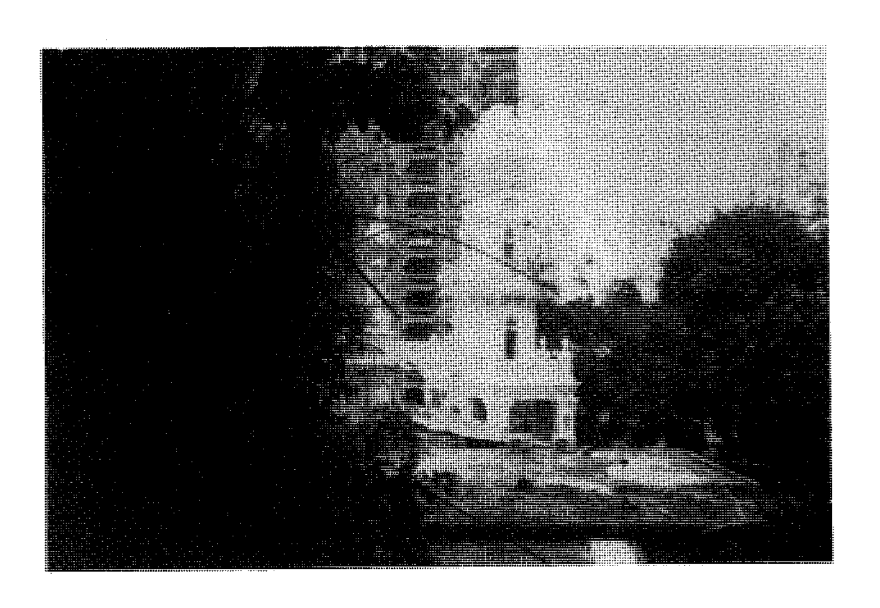
المسلمون في هونغ كونغ:

يبلغ عدد المسلمين في هونغ كونغ (٨٠) ألف نسمة، ٤٠ ألفاً منهم أي بنسبة ٥٠٪ من الصين، بمعنى ذوي الأصول الصينية.

ويفترض أن أكثر هؤلاء جاؤوا إلى (هونغ كونغ) من داخل الصين وهم مسلمون، لأن وجود المسلمين في البر الصيني هو وجود قديم وعريق، دل على ذلك ما ورد في بعض الكتب الصينية، كما دلت عليه آثار واضحة من القرن السادس الهجري فما بعده، وقد نقلت بعضها في كتابي: « **في جنوب الصين** ». وهو كتاب مطبوع، نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة (دعوةالحق) من مطبوعاتها.

أما دخول المسلمين أو لنقل دخول الإسلام ممثلاً في وجود المسلمين في الصين، فإن ذلك موضح في كتابي: « **داخل أسوار الصين**» الذي طبع في مجلدين.

ولا أراني بحاجة إلى أن أكرر هنا ما ذكرته في الكتابين وهما مطبوعان، وإنما أنوه هنا بما ذكره لي عدد من المسلمين أهل (هونغ كونغ) من المهتمين بالعمل الإسلامي من أن كثيراً من الإخوة من أصل صيني يحتاجون إلى تقوية إيمانهم بثقافة إسلامية واعية.



أول مسجد في هونغ كونغ بين الأبنية الشاهقة

أما النصف الثاني من المسلمين في (هونغ كونغ) الذين هم من غير الصينيين، فإنه يمكن تقسيمهم أيضاً إلى قسمين متساويين - على وجه التقريب-: أحدهما من المسلمين الذين جاؤوا

إلى هونغ كونغ مهاجرين، أو من أجل العمل في التجارة ونحوها إبان أن كانت بريطانيا تحكم الهند، وكان أهلها يعتبرون مثل أهل هونغ كونغ من رعايا بريطانيا.

ويتميز هؤلاء الإخوة من بلاد القارة الهندية بالوعي الإسلامي والنشاط العظيم في العمل الإسلامي على عادتهم في مهاجرهم كلها في أنحاء العالم.

والقسم الثاني من النصف الثاني من المسلمين وهو الربع بالنسبة إلى جميع المسلمين، فإنهم من بلاد شتى، يرجع أكثرهم إلى ماليزيا وإندونيسيا والعرب اليمانيين الذين أغلبهم من حضرموت، وإلى الفلبين.

ويقوم بالإشراف على النشاط الإسلامي (الاتحاد الإسلامي في هونغ كونغ)، وهو هيئة مسجلة في الدولة، وتعترف بها الحكومة، وهو الناطق باسم المسلمين المشرف على جباية موارد الزكاة والأوقاف الكثيرة التي أوقفها أثرياء المسلمين على المساجد والمدارس في هونغ كونغ.

وقد أخبروني أنهم لا يشكون نقصاً في الأموال اللازمة للنشاط الإسلامي، بل لديهم وفر كثير، ولذلك ذكروا أنهم لا يحتاجون إلى مساعدة مالية من خارج هونغ كونغ.

وللاتحاد مجلس للأمناء هو الذي يقوم بمعظم النشاط

الإسلامي الرسمي، لأنه منبثق بالانتخاب من الاتحاد الإسلامي.

وللمسلمين الصينيين جمعية إسلامية قديمة اسمها: (جمعية الإخاء الإسلامي) يرأسها في الوقت الحاضر الأخ (أيوب توجش بان).

تأسست هذه الجمعية في هونغ كونغ عام ١٩١٨م ،وفي عام ١٩٢٢م حصلت على مقر ثابت مملوك لها، جددوا بناءه أكثر من مرة، وهو يتألف الآن من خمس طبقات، وتشرف على عدة فصول دراسية للأطفال.

المؤسسات الإسلامية:

في هونغ كونغ الآن خمسة مساجد وعدد من الفصول الدراسية، ومنها الكلية الدينية، ويضيف المسلمون بأن لهم أيضاً مقبرتين.

وأكبر المساجد هو جامع كولون، أما أقدمها فهو جامع هونغ كونغ، وسوف أتحدث عن ذلك بالتفصيل عندما أزور المساجد بإذن الله.

يوم الثلاثاء ١٧/٧/١٤٢٠هـ ٢٦/١٠/١٩٩٩م

من مانيلا إلى هونغ كونغ:

كنت في زيارة لجزر الفلبين كما قدمت، وعندما قدمت من مطار (كوتا باتو) إحدى المدن المهمة في جزيرة مندناو إلى مطار مانيلا، وجدت في استقبالي الأخ الكريم يوسف بن محمد الوهيبي القائم بالأعمال في السفارة السعودية في الفلبين، وكان هاتفني وأنا في (كوتا باتو)، يسأل عن موعد وصولي إلى مانيلا فأخبرته، ولكنني رجوته ألا يخرج للمطار، لأنني لن أدخل إلى مدينة مانيلا، وإنما سأغادر مطارها إلى (هونغ كونغ)، وكان الأخ الكريم يوسف الوهيبي قد استقبلني في مطار مانيلا عندما قدمت إليها من الرياض في هذه السفرة ومعه الأخ سهل مصطفى عرقسوس السكرتير الثاني في السفارة، ودخلت إلى مانيلا لليلة واحدة، وغادرتها بعد ذلك إلى (كوتا باتو)، فكانا في وداعي أيضاً، لذلك رجوت هذا الأخ الكريم ألا يتعب نفسه بالخروج مرة ثانية إلى المطار من أجلي، من أجل صعوبة السير في شوارع مانيلا المزدحمة.

ولكن - جزاه الله خيراً- لم يرد إلا أن يواصل عنايته بي، فقد وصل المطار، وظل يرافقني حتى دخلت غرفة الدرجة الأولى تمهيداً لمغادرته، وذلك لكونه يحمل بطاقة تخوله ذلك بصفته (دبلوماسياً) وإلاً فإن سلطات المطار تمنع منعاً باتاً دخول من لا

يحملون تذاكر سفر إلى المطار، ولذلك صار داخل المطار هادئاً بعد أن كان صاخباً قبل ذلك المنع.

وهم بهذا يشبهون الهنود، وأما سائر الناس ومنهم بلادنا فإنها لا تمنع أحداً من دخول قاعات الترحيل في المطار، وكذلك أبهاؤه الأخرى حتى قاعة المغادرة في الرحلات الداخلية، ومكاتب الجوازات للرحلات الخارجية.

وأما بعض البلدان وهي عديدة رأيتها في أمريكا والبحر الكاريبي وأمريكا الجنوبية، فإنهم جعلوا مكاتب الترحيل مفتوحة إلى الخارج في رصيف مبنى المطار المسقوف، لا يمنعها من أي شخص مانع، وليس عليها أبواب فضلاً عن أن يكون لها بواب، بل بوابون من العسكريين الأشداء كما في الهند.

وقد بقيت في غرفة الدرجة الأولى في المطار أسود بعض أوراقي بما قطع عني السآمة وأذهب عني الشعور بطول الوقت، مع أنه لم يزد على ساعتين ونصف، لأنني كما قلت قدمت إليه دون الدخول إلى مدينة مانيلا، ولكن هكذا كان موعد الرحلة مناسباً.

وقد حفلت غرفة الدرجة الأولى التي هي واسعة مقسمة إلى أقسام تكاد تكون منفصلة بعضها عن بعض بالمسافرين من أغنياء الفلبين وبعض الأوروبيين أو من لهم مظهر أوروبي وقد

يكونون من الأمريكيين، ورأيت النساء المسافرات أكثر من الرجال، وهذه طبيعة في أهل الفلبين أن تكون حركة النساء فيها مثل حركة الرجال إلاَّ في المناطق الإسلامية التي حدت من تحرك المرأة بالعرف المستمد من الدين، وإن كانت تتحرك وتخرج وتبيع وتشتري، إلا أن ذلك على نطاق أقل مما تفعله المرأة غير المسلمة في البلاد.

وأكثر النساء اللاتي في الغرفة الآن هن من القادرات مالياً، وإلا لما دخلن في هذه الغرفة التي لا يدخلها إلا ركاب الدرجة الأولى ودرجة رجال الأعمال (بزنس كلاس).

ولا يرى المرء فيهن إلا شيئاً قليلاً من الجمال النادر في بعضهن ممن قيل إنهن ينحدرن من آباء اختلط دمهم بدم إسباني.

ذلك بأن لهن تقاسيم وجوه خاصة لا تتناسب مع ما ألفناه من اعتبار للجمال، وهو التناسب في تقسيم الوجه والجسم بصفة عامة، مع نسبة من البياض كلما زادت زاد الشعور بالجمال، وهو ما يجعل الذوق العربي في هذا الأمر شبيهاً بالذوق الغربي أو قريباً منه.

مغادرة مانيلا:

نادوا على ركاب رحلتنا بالصعود إلى الطائرة، فدخلنا إليها من دهليز متحرك جديد مثل مطارهم هذا الذي بنوا فيه أبنية

خاصة بخطوطهم الفلبينية، وجعلوا المباني القديمة خاصة بشركات الطيران الأجنبية.

وجدنا الطائرة من طراز (أيرباص) ليست فيها درجة أولى، وإنما فيها درجة رجال الأعمال، وهي واسعة جيدة أحسن من الأولى في بعض الشركات العربية أو الهندية، وبين صفوف المقاعد فيها فراغ واسع يسمح بإخراج لسان من تحت المقعد يمدد عليه الراكب رجليه.

وقد بدت لي واسعة عندما قارنتها في ذهني بالدرجة الأولى في طائرات (إير باص) التي تعمل بين الرياض و جدة.

وقد أعلنوا من مكبر الصوت أن المسافة إلى هونغ كونغ هي ساعة ونصف من الطيران.

أقلعت الطائرة من مطار مانيلا في السادسة إلا ربعاً قبل المغرب، وهو الوقت المحدد لطيرانها في الأصل من دون تأخير، وهذا نادر.

ثم جاءت مضيفة تسأل عن الطعام المفضل، فطلبت سمكاً، ولكنها جاءت قبله بصحن المقبلات فيه شرائح من اللحم الأحمر، سألتها عنها فذكرت أنها من لحم البقر، ومع ذلك عافتها نفسي فلم أقربها خشية أن تكون لحم خنزير.

ومع صحن المقبلات روبيانة واحدة، وهي الإربيانة، أو

الجمبري باللهجة المصرية، ومعها قطعة من السمك المطحون والأرز قد خلطا ووضعا في ورقة شجر كالموز حتى صار كالنقانق وهي أمعاء الغنم المحشوة المطبوخة، ووضعوا أيضاً قطعة صغيرة من البطاطس.

وأما الطبق الرئيسي فإنه سمك غير جيد، معه قطعة من الخبز.

كانت الطائرة مرتفعة، والجو غائم، لذلك لم يكن المنظر خارج الطائرة ممتعاً.

في مطار هونغ كونغ:

هبطت الطائرة في مطار هونغ كونغ في السابعة و٢٥دقيقة. بتوقيت مانيلا التي أقلعنا منها، وهي السابعة إلا خمس دقائق بتوقيت هونغ كونغ.

دخلنا مع كم أو دهليز متحرك، سمّه بما شئت من أي منهما، فقابلتنا الفخامة والبذخ في التأثيث مع الذوق والسعة، حتى إنه يفوق في سعته وأثاثه مطارات كثير من عواصم الدول الكبيرة.

ووصلنا إلى مكاتب الجوازات، فإذا بها على كثرتها التي تبلغ اثني عشر مكتباً كلها أمامها صفوف من الواصلين مثلنا يطلبون أن تختم جوازاتهم، وقد عجبت من هذا الإقبال العظيم على

زيارة هذه البلاد الصغيرة، إلا أنني ظننت أن بعض السياح يتخذون من زيارتها معبراً للصين الشعبية، وربما كان بعض رجال المال والأعمال التجارية الكبيرة يفعلون ذلك.

والشيء الذي شد انتباهي في صفوف الواقفين أنهم من جنسين غالبين، أحدهما الجنس الصيني المألوف في هذه البلاد وهي بلاده، والثاني الأوربي أو الأمريكي الأبيض.

وفوجئت بالفرق العظيم في الأجسام بين أهل الفلبين وبين هؤلاء الأمريكيين القادمين، فأهل الفلبين ومثلهم أهل هونغ كونغ يتمتعون بأجسام خفيفة معتدلة بعيدة عن الترهل والاسترخاء، وبخاصة منهم الجنس اللطيف، والأمريكيون وبخاصة النساء في منتصف العمر وما بعده، وحتى الرجال من مثل هذه السن هم ذوو أجسام ضخمة مترهلة، وحتى من لم يكن منهم جسمه ضخماً، فإنك تعرف أنه كان كذلك في مرحلة سابقة من مراحل حياته، تعرف ذلك من تغضن جلده واسترخائه، وبخاصة استرخاء اللحيين، وعدم انتصاب الكفلين، لأنهم كانوا في مرحلة من المراحل من ذوي البدانة حملهم الأمر إلى أن ينقصوا من أوزانهم فبدت حتى لو نقصت ظاهراً عليها أنها كانت ضخمة، لأن الجلد الذي كأن يستوعب اللحم الكثير بقي فيه شيء من الاتساع تسهل ملاحظته.

وكان موظفو الجوازات، أو لنقل : إنهم ضباط الجوازات. كما يحلو لبعض الناس أن يسموهم، لأنهم يكونون في الغالب من العسكريين الذين يتبعون وزارة الداخلية، كانوا يبطئون في إنجاز الختم على الجوازات، مع أن أكثر القادمين لا يحتاج إلى سمات دخول إلى هونغ كونغ مثلنا نحن عرب الخليج، بخلاف بقية الأقطار العربية، فإن أهلها يحتاجون إلى الحصول على سمة مسبقة من إحدى سفارات الصين.

أما الأمريكيون والأوربيون ومن لف لفهم كالأستراليين والنيوزيلنديين فإنهم مثلنا لا يلزم لهم الحصول على سمة دخول مسبقة إلى هونغ كونغ.

وقد وقفنا حتى مللنا الوقوف، ولما وصل إليَّ الدور أخذ الضابط ينظر في جوازي تارة وفي الحاسب الآلي تارة أخرى ولا أدري لم يفعل ذلك، وأحياناً يبدو كأنما هو لا يفعل شيئاً، وأخيراً سألني عن الأيام التي سأقضيها في هونغ كونغ فقلت: أسبوع واحد فختم بذلك، فذهبت وكأنما أطلقت من عقال آخذ حقيبتي الكبيرة، وأرفعها مع الأخرى على عربة يد جيدة نظيفة إلى مكتب صرف العملة، فصرفت شيكات (صكات) سياحية بالدولار، كل دولار أمريكي واحد بسبعة دولارات هونقوية. وهذه نسبة إلى المقطع الأول من اسم (هونغ كونغ) لأنه تصعب النسبة إلى الاسم كاملاً.

وكنت عهدت دولار هونغ كونغ يباع بنصف دولار أمريكي، ثم ذهبت إلى مكتب الحجز للفنادق وعليه ثلاث نساء صينيات، فطلبت من إحداهن أن تحجز لي فندقاً في (كولون) غير بعيد من جامع كولون، والجامع معروف لأنه واقع على الشارع الرئيسي فيه، وهو ذو مظهر مميز لا يشتبه بغيره.

فحجزت لي في فندق وندسور هناك، وقالت: هو قريب من الجامع، وأجرته ٩١دولاراً أمريكية.

قلت لها: ماذا عن الوصول إليه؟ فقالت: هنالك (التاكسي)، وهو غالٍ جداً، لأن الفندق بعيد من هنا، ولكن المناسب والرخيص هو الحافلة، ثم أعطتني رقمها وهو ٨٢١ وقالت: تدفع لها ثمن التذكرة (٣٣) دولاراً هنقوياً، ويعادل ذلك ١٦ ريالاً سعودياً ونصفاً لأن دولار (هونغ كونغ) يعادل نصف ريال سعودي.

وهكذا خرجت أسأل عن موقف الحافلات، فوجدتها كثيرة كثرة لافتة للنظر، وكل واحد عليه رقم يدل على المنطقة التي يذهب إليها، فوقفت في موقف الحافلة المطلوبة، ولما جاءت أسرعت أرفع حقيبتي الكبيرة إليها فاعترضني السائق قائلاً: هل معك تذكرة؟ فأدخلت يدي في جيبي أخرج النقود، فقال: انظر إلى المكتوب: إنه لا يوجد لدينا صرف، هكذا كتبوا، وعليك أن تضع في مكان التذاكر قيمة التذكرة دون زيادة أو نقص، فقلت

لهم ماذا أفعل؟ قالوا: تشتري تذكرة ثم تعود.

ووجدت مكتباً عند مدخل موقف الحافلات الذي هو أشبه بالمظلة العالية فاشتريت منه التذكرة، ولكنني وجدت الحافلة قد ذهبت فوقفت حتى جاءت أخرى.

ووضعت حقيبتي الكبيرة في جانبي من الحافلة التي هي ذات طابقين كأكثر حافلاتهم العاملة على طريق المطار.

وجميع الموظفين من الصينيين.

إن هذه العبارة لا تستدعي الذكر الآن لكون (هونغ كونغ) أصلاً أرضاً صينية، أو ملاصقة لأرض الصين، ثم عادت إلى الصين، لذلك لا يكون غريباً أن أهلها هم من الصينيين، غير أن الأمر ليس على إطلاقه، عندما كنت زرت (هونغ كونغ) في السابق، فوجدت أن سكانها رغم كون أغلبيتهم من الصينيين، فيهم نسبة من سكان المستعمرات الإنكليزية السابقة، وبخاصة من القارة الهندية والمستعمرات الإنكليزية في آسيا، إلاً أن الأمر اختلف الآن، فأكثر الأجانب من غير الصينيين أبقوا على جنسيتهم البريطانية مؤثرين إياها على جنسية الصين.

وكان الاتفاق الذي تم بين بريطانيا والصين قد نص فيما نص عليه على أن يحتفظ سكان هونغ كونغ من غير الصينيين بجنسيتهم البريطانية، أما الصينيون من أهلها فإنهم لا يستطيعون

ذلك، ولكن يمكنهم التمتع بالجنسية الصينية وفق ترتيب خاص يجعل لهم جنسية صينية خاصة، بحيث يحمل الواحد منهم جواز سفر مختلفاً عن جواز السفر الذي يحمله الصينيون، وأن يكون له نظام خاص بالنسبة إلى معاشات التقاعد وما في حكمها إلخ...

هونغ كونغ:

الاسم للمستعمرة التي هي في الأصل جزيرة صغيرة اتخذها الإنكليز مرفأً لسفنهم التي تصل إلى الشرق الأقصى أو تعود منه، ثم ضموا إليها قطعة من الأرض أكبر من الجزيرة من منطقة (كولون)، وبذلك أصبح اسم (هونغ كونغ) يشمل الاثنين معاً.

سارت الحافلة من المطار، وأعلنت بكتابة من نور في أعلى مقدمتها أنها تتوقع أن تستغرق الرحلة من المطار إلى كولون (٣٥) دقيقة، وقد ركب الركاب في الطابق الثاني ممن لا يحملون أمتعة مهمة ثقيلة.

ولم تقف أبداً، وكان سائقها يسرع قليلاً سرعة حمدناها له لأنها غير مزعجة، وكانت الحافلة تخترق شوارع وأسواقاً من أسواق ذات طابع صيني خالص، وأهم ما يميزها في ذلك الحروف الصينية ذات الأشكال الكثيرة الغريبة التي لا ترى عليها مسحة من الفن في الكتابة، لكونها لا تعتبر الاستقامة في الخطوط، وإنما طابعها أن تكون خطوطاً متعرجة، والمراد بذلك التعرج في

رسم الشكل الواحد.

لقد تكلمنا عن الشكل الواحد ولم نقل الحرف الواحد، لأن اللغة الصينية ليست فيها حروف هجائية كالتي في اللغة العربية واللغات اللاتينية مثلا، وإنما فيها أشكال للكتابة، كل شكل يدل على نطق معين أو على شيء معين، بغض النظر عن النطق به.

وكانت تلك الأشكال الصينية كثيرة إلى درجة أن قيل: إنها كانت في وقت من الأوقات تبلغ ٥١ألفاً، والمراد بذلك في مرحلة من مراحل تاريخ الثقافة فيها، ثم جرى اختصارها إلى بضعة آلاف، والفرق بين الشكل والحرف يوضحه مثال، من ذلك أن اسم الحصان كان في اللغة الصينية القديمة (ما) التي هي حرف الميم عندنا، فرسموا هذا اللفظ رسم حصان ذي أربع أرجل لكن بدون رأس، ثم صاروا إذا أرادوا أن يكتبوا شيئاً فيه حرف (ما) رسموا ذلك الرسم، فمثلاً أسمى عندهم (موحاماد) لأن لغتهم تتألف من مقاطع، كل مقطع يتألف من حرف متحرك في أوله وساكن في آخره، فيكتبون (ما) كرسم الحصان، وهكذا.

وكنت أعجب من طول اسمي عندهم، إذْ يضطرون إلى كتابته على أماكن الجلوس في الحفلات ومآدب الطعام الكثيرة عندما كنت في الصين، مع أنه قصير مختصر بالعربية حتى

بالنسبة إلى كتابته بالحروف اللاتينية، إذْ كلمة (محمد) التي هي واحدة مجتمعة تتألف من ثمانية حروف مصفوفة صفاً بالحروف اللاتينية.

وأهم مظهر للصينية والصينيين في بلد هو كتابة اللافتات وأشكالها في لغتهم بحروف صارخة اللون، كثيراً ما تكون حمراء، وإذا لم تكن كذلك فإنها تكون صفراء فاقعة، فهم يحبون الألوان الصارخة في إعلاناتهم، وحتى في ملابس نسائهم، وفي مظاهر الزينة عندهم.

وقد استرعى انتباهي كثرة الحافلات ذات الطابقين، ولكنها كلها تحمل أناساً من القادمين الكثر إلى البلاد، ومعها رأيت قطارات واقفة تحمل الركاب أيضاً، أظنها تذهب إلى أماكن بعيدة في (كولون)، أو غيرها مما هو داخل البر الصيني.

وأجمل ما فيها أنها كلها واقفة عند المطار بعد باب المغادرة من الداخل، فما على من يريد أن ينتقل بأحدها إلا أن يدخل إليها مباشرة بعد خروجه من مبنى المطار.

ثم وصلنا مدينة كولون، وليس هذا اسمها، وإنما هي المدينة التي سميت على اسم المنطقة، عرفنا ذلك من اللافتة في أعلى الحافلة، وقلت للسائق بالإنكليزية، وكل أهل (هونغ كونغ) يعرفونها لكونها مستعمرة إنكليزية سابقة، ولكنك لا

تسمع أهلها يتكلمون فيما بينهم إلا بالصينية، قلت له: إنني أقصد فندق (وندسور) في كولون، فقال: سوف ندعوك، وجعلت اللافتة في الحافلة تعلن الوصول إلى محطة من محطات وقوفها في كولون بالأرقام، فالمحطة رقم واحد ذكروا فيها محلاً مهماً، والثانية فيها مكان مهم وفندق، والثالثة فيها فنادق ومجمع تجاري، وكل ذلك يذكرون اسمه مكتوباً بالحروف على أعلى مقدمة الحافلة من الداخل. فتقول اللافتة: المحطة التالية هي الموقف رقم كذا، وعنده ينزل الذين يقصدون فندق كذا وكذا.

ثم تجاوزت المواقف العشرة، وخشيت أن يكون السائق نسيني، أو أنني تجاوزت المنطقة التي فيها فندقي، وأنا معي حقيبتان كبيرة وحقيبة يد. فذهبت إليه أسأله فقال: عد إلى مقعدك وانتظر.

وقبل المحطة الثانية عشرة أعلنت اللافتة أن فيها كذا وكذا و(فندق وندسور)، وهذا من مزايا الفندق أنه مشهور إلى درجة أن اسمه مكتوب على لافتة الحافلة، والتفت إليّ السائق ليخبرني بذلك، ولكنه وجدني واقفاً عند الباب أتهيأ للنزول.

نزلت من الحافلة، وذهبت مع جهة أشار إليها السائق وأنا أسحب حقيبتي الكبيرة لأنها تجري على عجلتين وأعلق الأخرى الصغيرة بيدي الأخرى، فسألت واحداً ثم أكثر من واحد عن فندق

وندسور فلم يعرفوه. وبعضهم لم يبال حتى باستيعاب ما أسأل عنه، فعرفت من هذا مثلما عرفت من غيره قبله وبعده بأنهم شعب عملي مادي، ليست عندهم روح إنسانية للمساعدة، حتى رآني شاب عربي لا أعرفه ولا يعرفني، وأظنه من الخليج أو اليمن، فحمل عني إحدى الحقيبتين وصرنا نسأل أحد المارة الهنود، فأشار إلى جهة قريبة جداً وجدنا فيها الفندق:

فندق وندسور

وقد طلب أهل الفندق مني أن أدفع الأجرة مقدماً، ولما لم أبدِ انقياداً لذلك لأنهم رأوا جوازي (دبلوماسياً) بعد أن كانوا طلبوا الاطلاع عليه أعطيتهم أجرة ليلة واحدة.

وقد أنزلوني في غرفة في الطابق الثاني من مجموع طبقات الفندق البالغة أربع عشرة طبقة.

وقد أخلدت للراحة على الكتابة ولم أنزل من غرفتي.

يوم الأربعاء ١٨/٧/١٤٢٠هـ ٢٧/١٠/١٩٩٩م.

تمشية في قلب كولون:

يقع فندق وندسور الذي أسكن فيه في قلب مدينة كولون، وهو قلب حافل بالمتاجر والمكاتب العائدة للشركات والمؤسسات، ولذلك تكثر فيه رؤية الأجانب الذي جاؤوا إلى (هونغ كونغ) للتجارة، وبخاصة لعقد صفقات تجارية، أو شراء بضائع تصدرها، أو مصنوعة في هونغ كونغ، ومع أن معظم المارة هم من الصينيين فإن المار في شوارع المدينة وبخاصة في هذا القلب التجاري يرى وجوهاً غير صينية، من هندية وباكستانية، بل وعربية، فهناك قلة من التجار أغلبهم من أقطار الخليج ومن اليمن.

وهاك عدد قليل من الأفارقة السود، ووجودهم ظاهر بسبب لونهم، مثلما أن وجود الهنود والعرب ظاهر بسبب مغايرة التقاسيم في وجوههم ومستوى قاماتهم بالنسبة للصينيين.

ولاحظت ما يمكن أن يسمى (جنون الهاتف الجوال)، فالمرء يرى أعداداً كبيرة من المارة وهم يتكلمون بالهاتف الجوال الذي يحملونه في أيديهم، وكأنما هم يحدثون أنفسهم بأنفسهم إذا لم تلاحظ وجود الهاتف بسرعة.

والأكثر غرابة هو من كثرة وجود هذا الهاتف مع النساء

الشابات، مما يدل على ما هو معروف لنا، ولمن عرف الجنس الصيني في المهاجر مثل تايلند وسنغافورة من أن النساء وبخاصة الشابات يعملن في التجارة مثل الرجال، وسمعت من الصينيين من يقول: إن الشابة الصينية تعمل بكل جهد ومشقة على الحصول على المال، لأن ذلك يحسن من فرص زواجها بزوج ناجح مالياً.

ومعلوم عن الصينيين أنهم يقدسون المادة، ويحرصون على جمع المال بأية وسيلة، وفي المقابل لا يهتمون بالسياسة، ولا يشغلون أنفسهم بها.

وأكثر الصينيات اللاتي أراهن الآن في الشوارع والمحلات التجارية ليس فيهن ما يراه العربي في الفتاة العربية التي في السن المماثل، وذلك بمقارنة تقاسيم الوجوه عندهم بما هو عندنا.

والشيء العجيب أنك ترى الواحدة منهن تسير أمامك فيعجبك مظهرها وحتى لونها، حتى إذا استدارت إلى جهتك وألقيت نظرة على وجهها ذهب ذلك الإعجاب بها من قلبك، وحلَّ محله صدود بنظرك عنها.

والشيء الجيد والعجيب فيهن تلك الرشاقة التي تكاد تكون عامة فيهن، فلا تجد فيهن ثقيلة أو خشنة الجسم، وقد سألت بعض الذين يفهمون هذه الأمور عن ذلك، فذكر أن سببه هو حرصهن على نظام الغذاء، فلا يأكلن كل ما يشتهين، كما

تفعل نساء بعض البلدان الأخرى.

وهذا عام أو شبيه بالعام فيهن، فلا تكاد تجد فيهن حتى إذا تطلبتها من تنافي ذلك.

وشيء مهم ليست له علاقة بالجسم، وهو الجدية الظاهرة على تصرفاتهن، فلا يحس الغريب مثلي أنهن ينظرن نظرات إعجاب إلى العربي، وحتى لو كن كذلك، فإنه لا يظهر على وجوههن ولا على تصرفاتهن شيء يدل على ذلك.

والأمر نفسه يصدق على ما يلاحظه المرء من عدم نظرهن في الشوارع والمتاجر والمحلات العامة إلى الرجال من بني قومهن أيضاً.

إن الذي يتخيله الإنسان العربي أنهن يعتبرن الرجل العربي مثلاً للجمال الجسماني إذا لم يكن ذا جسم ثقيل أو لون داكن، وذلك أمر تقوله نساء كثيرات من نساء الأمم الأجنبية، ويظهر على فلتات ألسنتهن ونظرات عيونهن، ولكن الصينيات لسن كذلك.

فالمرأة تسير كما يسير الرجل رغم كونها تعتني بمظهرها، وبخاصة ملبسها، حتى ليخيل للأجنبي أنها خالية من العواطف.

غير أن الذين يعرفون بواطن الأمور يقولون: إن فيهن من إذا أمنت الرقيب أظهرت ما كانت تخفيه للرجل العربي.

وأظهرت للرجل ما كان خافياً عليه من كونها ذات جسم بض، وملمس غض، غير أن الذي يصدمه هو عدم الوجاهة في منظر الوجه، وبخاصة العينين الصغيرتين اللتين تختفيان بين الوجنتين المرتفعتين والحاجبين المنتفخين عندما تضحك المرأة، أو حتى تبتسم ابتسامة عميقة، مع أن الابتسام عندهم قليل، بل يكاد يكون معدوماً، وقد حاولت أن أجد في أرصفة الشوارع المليئة بهم من أراه مبتسماً، أو حتى من لا أراه متجهم الوجه فلم أجد.

وعلى أية حال فإن هذه مجرد انطباعات لسائح عربي كان رأي الصينيين والصينيات في أماكن مختلفة أيضاً غير هذه البلاد.

الوجه الصيني:

والوجه الصيني في الغالب له مميزات، أو لنقل مظاهر لا تحتاج إلى التأمل لظهورها، وهو أنه ذو عينين صغيرتين، وأنف ليس صغيراً ولا قصيراً، ولكنه دون أنوف العرب والأمريكيين، ووجنتان بارزتان لا يبدو للنظر أحياناً بأنهما منسجمتان مع بقية الوجه، والفم ضيق ولكنه بارز، أو فيه شيء من البروز بالنسبة إلى ما حوله من الوجه، وإذا افتر عن ابتسامة خيل إليك أنه ينتزعها منه انتزاعاً.

والجسم الصيني معتدل في الطول، وأهل الجنوب - مثل أهل هونغ كونغ - يميلون إلى القصر بخلاف أهل شمال الصين الذين

تميل أجسامهم إلى الطول، والبطون عند الرجال تكون بارزة ابتداء من منتصف العمر، وذلك - فيما يقال- راجع إلى الإكثار من أكل الأرز.

ويتميز جسم المرأة بعدم بروز الصدر بروزاً ظاهراً، وكذلك بعدم ثقل الأرداف ثقلاً ملاحظاً، أما النظرات المعنوية فإن كثيرين منهم إذا رأيتهم خيل إليك أنهم يريدون بك شراً، وهذا ليس بصحيح، ولكنه ناشئ عن عدم ارتسام الطيبة على وجوههم، وعن عدم الإسراع إلى عقد الصحبة والصداقة مع الأجانب.

وما رأيت أقبح في عيني من الصيني إذا صار طويلاً، وبخاصة المرأة الصينية، فالطول في رأيي يشينها، لأن الملائم لمنظر جسمها أن تكون متوسطة الطول، أو إلى القصر ما هي.

وهي تعمل كما يعمل الرجل في المتاجر والوظائف العامة، وبشكل واسع، حتى إن المرأة العاملة من هؤلاء الصينيات الهونقيات من أعلى شعوب المنطقة عملاً.

ولا يوجد ميدان لا تراها فيه، إلاَّ الأعمال الشاقة كأعمال البناء، وحفر القنوات، وشق الطرق وزفلتتها، فهي ليست كالهندية التي تعمل في بناء البيوت وتأخذ أجراً زهيداً على ذلك، لأن عملها ليس عملاً فنياً راقياً، ولا هي كالمرأة التايلندية التي تعمل في شق الطرق، وحفر القنوات كما أنها تعمل في أعمال البناء

أيضاً.

وتعتبر المرأة الصينية في هونغ كونغ متعلمة، وقل أن تجد من لا تكون حصلت على قسط من التعليم إلا أن تكون قدمت من أرياف الصين.

البحث عن مطعم إسلامي:

لقد زرت الصين أكثر من مرة، وظللت مدة آكل من طعام الإخوة المسلمين فيها، وأشرب الشاي الصيني الخفيف الذي لا يدخله السكر أصلاً، ولا يعرفون وضعه فيه، مثلما أننا لا نعرف وضع السكر في القهوة العربية، وقد اتخذت عادتهم بعد ذلك في عدم وضع السكر في الشاي، وأن يكون خفيفاً بحيث لا تصعب استساغته لمرارته، ثم بدأت أشرب الشاي الصيني الذي هو ليس بالشاي الأحمر ولا الشاي الأخضر، ولكنه شاي طبيعي خفيف قد جربته فحمدته.

أما الطعام الصيني فإنني وجدته معقداً منوعاً، يبذل فيه معدوه من طباخين ومن يساعدونهم جهوداً كبيرة، مثلما يعمل المتعلمون منهم جهوداً كبيرة في تعلم الكتابة الصينية وكتابتها.

لا شك أن تعقيد إعداد الطعام الصيني وتنوعه إنما هو ناشئ عن عراقة هذا الشعب الصيني في الحضارة، وقال لي واحد من أهل بكين: إن ذلك راجع إلى كون الناس كانوا يتباهون في تقديم

الطعام لملوك الصين، وكان أولئك الملوك يجازون من يقدم أنواعاً جديدة من الطعام بجوائز كثيرة.

ولكن ربما جاز أن يكون هذا صحيحاً في الأصل، وإلا فإننا نشهد الآن بعد سقوط إمبراطورية الصين، وذهاب عهد ملوكهم تفنناً في إعداد الأطعمة وزيادة الأنواع المعروفة منها.

وأذكر أننا عندما زرنا مدينة (كانتون) التي يسميها الصينيون الآن (قوانقشو) أقام لنا حاكم المدينة مأدبة عشاء حافلة، وأحضر الطباخ الذي طبخها، وهذه عادة لهم أن يحضروا الطباخ المسلم الذي طبخ الطعام قبل البدء في الأكل، وقدمه الحاكم لنا بقوله: إنه طباخ مسلم مشهور، حتى إنه قدم (٤٢) نوعاً من طبخ السمك لم تكن معروفة قبل ذلك، وكان ذلك في مسابقة للطبخ في هذه المدينة.

وقد أعجبت بالأطعمة الصينية، إلا أنني لا أتناول إلاَّ طعام المسلمين الصينيين، لأن الصينيين غيرهم يأكلون كل ما دبّ ودرج، حتى إنهم أكثر أكلاً لذلك من الأعرابي الذي سئل عما يأكله الأعرابي في الصحراء؟

فقال: يأكل كل ما دب ودرج إلاَّ أم حبين، فقال راوي القصة: لتهنك السلامة يا أم حبين!

وأم حُبَيْن: نوع صغير من السحالي لا يسمن أبداً، أما

الصينيون الكفار فإنهم لا يعفون شيئاً من الأكل.

وأقرب الأشياء التي يأكلونها وهي مستقذرة لنا لحوم القرود والحيات والفئران وأنواع الديدان والحشرات.

إضافة إلى كونهم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبيحتهم، فلا يجوز أكل ما ذبحوه ولو كان حلالاً في الأصل كلحم البقر والغنم.

ولذلك كنت ابحث في المطاعم الصينية في بلادنا وغيرها من البلدان الإسلامية التي توجد فيها مطاعم إسلامية صينية، فأجد أنهم لا يقدمون الأطعمة الصينية العريقة لصعوبة عثورهم على المواد اللازمة التي توجد في الصين، ومن ذلك نوع من الفطر الذي ينبت في الغابات وهم يحرصون عليه ويحضرونه في المآدب الرسمية، وكذلك أنواع من الخلطات.

وقد سألت موظفة الاستقبال في الفندق عندما أردت الخروج منه هذا الصباح عما إذا كانت تعرف مطعماً صينياً للمسلمين، فأجابت بأنها لا تعرف ، إلا أنها رجعت إلى أوراق عندها وأعطتني عنواناً لمطعم إسلامي.

وقد أخذت ذلك العنوان وصرت أمشي في الشوارع القريبة من الحي أسأل عن العنوان المكتوب في هذه الورقة، فعرفت بعد ذلك أنه منطقة للمطاعم الصغيرة في هذا السوق المزدحم بالمتاجر،

وأن فيه عدداً من المطاعم للمسلمين أكثرها للباكستانيين، ولكنني لم أردها، لأنها من الطعام الهندي الذي يكثرون فيه من الفلفل الحار ومن الدسم الثقيل.

وأخبرني بعض الباكستانيين من العاملين في السوق أنه لا يوجد طعام إسلامي صيني في هذه المنطقة، فدخلت مطعماً باكستانياً صغيراً لأنه فيما يشبه (الدكان) في هذه المنطقة التجارية، فجلست إلى مائدة ليس عليها أحد من موائد (٤) فيه، لكن سرعان ما جاء أكلة فجلسوا إلى موائد كان فيها غيرهم من قبل.

ثم جاءت امرأة إفريقية ثقيلة، تبين أنها مسلمة، وأنها جاءت إلى هونغ كونغ من أجل التجارة، ولم أسألها عما إذا كانت وحدها لئلا يفسر هذا على غير ظاهره، مع أن مثلها لا يرغب فيها العربي ممن يطلب ذلك، أما أنا فإنني لا أرغب في أن أسأل هذا السؤال ولا ما وراءه، وإنما كنت أريد أن أعرف ما إذا كانت هذه المرأة المسلمة قد حضرت من دون رجل مرافق لها من بلادها.

وجاء ثلاثة من العرب شبان، جلسوا على مائدة عليها قبلهم باكستاني.

قدم الغداء صحناً من الأرز الأبيض، وصحناً من لحم بالكاري، والكاري هو ذلك المرق الغليظ المثقل بالبهارات الحارة،

يطبخ فيه اللحم، ويضاف إليه الدهن فيما أظن لأنه لا بد له من أن يكون فيه دهن يبقى في الصحن.

وأكلت الأرز الأبيض، ولم تقبل نفسي خبزاً رأيته معروضاً من غير غطاء، مع أنني لا أرى ذباباً ولا غيره من الحشرات هنا، وإنما خشيت أن يكون وقع عليه رشاش من عطسة أو سعلة من أحد العاملين في المطعم.

وكان الأرز جيداً، إلا أن المشكلة كانت في هذا المرق الحار الذي يؤخذ مع الأرز، وقد غمس فيه اللحم، فكان اللحم أيضاً دسماً، وقد حاولت أن أخلص اللحم مما علق به من هذا المرق الحار الكثير الدسم.

وعندما انتهيت طلبوا ثمن ذلك ٢٨ دولاراً من دولارات (هونغ كونغ) وذلك يعادل ١٤ ريالاً سعودياً، أو أربعة دولارات أمريكية إلا قليلاً.

وقد تجولت أيضاً بعد الغداء، فكان الظاهر في هذه المنطقة هو الرواج التجاري، وهو بقايا رواج قديم عظيم، بقيت منه بقية، ولاحظت كثرة السيارات مع أنهم قالوا: إن سياسة الحكومة الصينية الحاضرة، وهي حكومة (هونغ كونغ)، هو التقليل من عدد السيارات التي توجد في المدينة، لأن شوارعها ضاقت بها أو كادت، حتى كان من يملك سيارة قد يركب الحافلة، لأنه

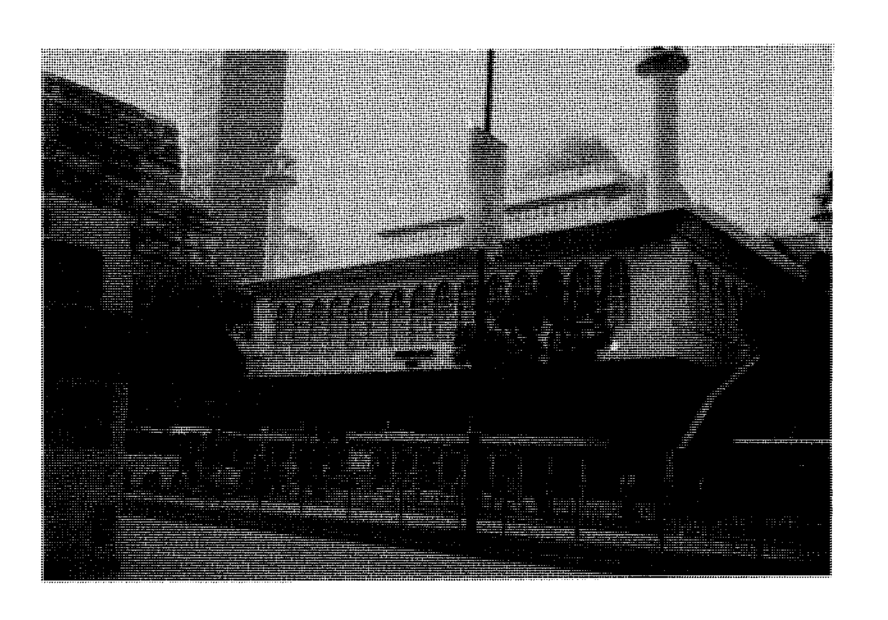
يصعب عليه الحصول على موقف لسيارته في أكثر أنحاء (هونغ كونغ).

الصلاة في جامع كولون:

كنت قررت أن أمنح نفسي إجازة من العمل هذا اليوم بأن لا أجري أي اتصال مع أحد، وأن أتفرغ للكتابة، لأن لديَّ متسعاً من الوقت في هونغ كونغ بسبب عودتي المبكرة من جنوب الفلبين.

ولكنني لم أستطع أن أغالب نفسي في حضور الجماعة، فذهبت لصلاة المغرب، ولم أكن أعرف موعدها بالضبط، فوصلت المسجد وهم يصلونها، وقد صلاها أكثر من صفين يبلغ عدد كل صف ما يزيد قليلاً على ستين مصلياً.

وكان المصلون من سائر الناس، إلا أنهم أقلهم الصينيون الذين هم الأكثرية في البلاد، وأكثر المصلين هم من القارة الهندية، وأكثرهم من باكستان، ويأتي بعدهم الأفارقة السود الذين رأيت منهم حرصاً عجيباً على شهود الجماعة في هذا المسجد بعد ذلك، ثم العرب الذين هم أقل منهم، وذلك راجع لقلة العرب في المدينة كما عرفت من أهل البلاد، وليس المراد بذلك قلة السكان من العرب في (هونغ كونغ)، لأنه لا يكاد يوجد أحد منهم ساكناً فيها، وإنما قلتهم من التجار والواصلين إليها لغرض مؤقت من الأغراض.



جامع كولون في هونغ كونغ

كان أول ما استرعى انتباهي المظهر الفخم لجامع كولون الكبير هذا، ومكانه البارز المتميز في الشارع العام في لمدينة، فهو بارز لكونه مرتفعاً عن الشارع، ولذلك عندما وصلت إليه وصعدت إلى درج عريض فيه لم أجد فيه أحداً فعجبت من ذلك، فقال أحدهم: إن المسجد فوق، مع العلم بأن الذي دخلته هو مسجد كامل مفروش مرتب، وصعدت إلى الطابق الذي فوقه، فإذا فيه مرافق للمسجد من أماكن الوضوء، وقاعة للمحاضرات، وغرف كثيرة، ثم صعدت منه إلى المصلى الرئيسي المستعمل في الأوقات

كلها.

لقد سرني وجود المصلين فيه بهذه الكثرة، وبهذا التنوع العجيب، وسرني من ذلك أن رأيت الإخوة الأفارقة الذين جاؤوا إلى هذه البلاد تجاراً وهم يؤدون الصلاة فيه مع إخوانهم المسلمين، وبعضهم على غاية من الخشوع، وبعضهم يأتون بملابسهم الإفريقية الفضفاضة.

ولذلك لم أخرج بعد صلاة المغرب، وإنما بقيت مع من بقي في المسجد منهم، وهم ما بين قائم يصلي، أو مضطجع مستريح، أو تالٍ للقرآن، وهؤلاء قلة.

فأستندت إلى أحد الأعمدة الضخمة منه واسترحت، ثم لما رأيت كثرة المضطجعين مددت جسمي حتى أذن لصلاة العشاء، فأخذ الناس قبل الأذان وبعده يتقاطرون بكثرة على المسجد أكثر مما رأيته من كثرتهم في صلاة المغرب، ثم أذن مؤذن باكستاني الأصل أذاناً جيد اللفظ خالياً من العجمة، ودخل بعد ذلك الإمام في الصلاة بعد أن التفت يمنة ويسرة للصفوف في هذا المسجد العريض يأمرهم باستواء صفهم، وقرأ قراءة واضحة بصوت جهوري، إلا أنني أحسست أنه كمن يقرأ بأجرة، ولا أدري مبعث ذلك.

مع العلم بأن مظهره عندما أقبل إلى المحراب ليصلي بالناس لم يعجبني أيضاً، إذْ كان يرتدي قميصاً عربياً كقمصان أهل

الخليج، وهو القميص السعودي الذي هو أوسع من المعتاد، إلا أنه من غير المعتاد أن يكون على الشيخ أو طالب العلم قميص طويل الذيل، يسحب ذيله من الخلف، وإن كان يرتفع من الأمام بسبب بطن بارز نوعاً ما.

وقلت في نفسي: لو كان هذا عندنا لطلب منه المصلون أن يقصر من ثوبه حتى لا يقع تحت الوعيد لمن أسبل ثوبه أو جره خيلاء وكبراً، وهذا على رأسه طاقية منقوشة كطواقي العمانيين، وأهل شرق إفريقية.

وهو الوحيد الذي يرتدي القميص الطويل بين الموجودين في المسجد، ما عدا إخواننا من الأفارقة، فمنهم من عليه القميص الوطني الطويل، ولكنه أقصر من قميص الإمام.

بعد الصلاة رفع الإمام يديه مباشرة بالدعاء وهو لا يزال مستقبلاً القبلة، فجهر بدعاء لا يكاد يبين حروفه، ثقة منه بأن أكثر المصلين لا يعرفون العربية، فكان بدلاً من إظهار حروفه وإخراجها من مظهرها الصحيح يغمغم فيها ويمد صوته كاللحن لها.

مع العلم بأن لفظه بالحروف في القراءة هو لفظ صحيح لا أثر فيه للعجمة.

وختم دعاءه بالآية الكريمة: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وهذا الدعاء كله بالعربية، وكان المأمومون مثله رافعين أكفهم من دون أن يقولوا شيئاً، ولكنهم يتابعونه، ثم مسح وجهه بكفيه، وانقلب إلى جهة المأمومين يوليهم وجهه، وبعد دعاء قصير واضح، قاموا لصلاة النافلة.

تدليس الإمام:

كانت رابطة العالم الإسلامي قد أبرقت لإمام جامع كولون برقية تخبره فيها أنني سوف أصل إلى مطار هونغ كونغ من الفلبين على رحلة الخطوط الفلبينية يوم الجمعة القادم، وتطلب منه أن يستقبلني في المطار، ولم يكن هذا بطلب مني، ولكنهم أرادوا إراحتي بوجود من يستقبلني في المطار، مع أنني لا أحتاج إلى ذلك.

ولم أعرف إلاّ بعد أن أرسلت البرقية، وأخبرني مدير مكتبي بأن مكتب الأمين العام هو الذي أرسلها، فأردت أن أخبر الإمام أنني قد وصلت بالفعل، وأنه لا ينبغي له أن يخرج للمطار يوم الجمعة لاستقبالي.

وذلك من أجل ألاّ يتعب الإمام بالخروج إلى المطار بدون

فائدة.

سلمت عليه وهو يمشي، وقلت له: أنا محمد بن ناصر العبودي، وقد أبرقت لكم رابطة العالم الإسلامي برقية من مكة المكرمة بأن تستقبلوني في المطار يوم الجمعة، وقد وصلت الآن، لذلك أرجو ألا تخرجوا لله ار يوم الجمعة.

فقال بطريقة تدل على ، تسلم البرقية: هذا طيب.

وكنت سألته عما إذا كان قديم الإقامة هنا، فقلت له: منذ كم وأنت إمام هذا الجامع؟ فقال: منذ سنتين، مما جعلني أتيقن من أنه هو الذي أرسلت إليه البرقية، فسألت عن اسمه، فقال: (محمد).

وكان الاسم الأول للإمام الذي أرسلت إليه البرقية هو (محمد)، إلا أنني لم أحفظ بقية الاسم.

كل هذا الكلام وهو واقف وليس معه أحد من المسلمين، إذْ لاحظت أنه لم يتحدث إليه أحد منهم، بل لم يحيه أحد منهم، وهم يمرون به واقفاً معي.

فقلت له: إنني أحب أن أتكلم معك، فهل أفعل الآن هنا؟ وكان المسجد قد كاد يخلو من الناس، وليس بقربنا أحد، أو نذهب إلى مكتبك، فنظر إليّ، وقال: المكتب، لا. فقلت له: كيف حال الإخوة المسلمين هنا؟ قال: بخير، قلت: ألا توجد بينهم

خلافات؟ قال: لا، كلهم يعبدون الله.

قلت: بلغني أنك كتبت إلى المملكة، تطلب قدوم بعض العلماء منها لإلقاء المحاضرات.

فقال: علماء يرشدون الناس ؟.

قلت: مثل من؟ قال: الشيخ سعود بن شريم إمام الحرم المكي، وطه عبد الواسع وهذا مدير معهد الحرم المكي.

فتيقنت أنه هو إمام جامع كولون الذي أرسل يطلب أن ترسل المملكة علماء ومشايخ إلى هونغ كونغ يعظون الناس، ويرشدونهم.

فسألته عن القاديانية، فذكر أنه ليس لها نشاط يذكر في هذه البلاد.

وهنا اقتنعت مما ذكرته، وقلت له: إنني سوف أصلي معك، وأرجو أن تتاح لي فرصة أخرى للجلوس معك، وبحث بعض الأمور.

قال: مثل ماذا ؟ قلت: مثل بحث ما إذا كان هذا المسجد الكبير يحتاج إلى المساعدة من رابطة العالم الإسلامي على دفع المصاريف المتكررة التي يحتاجها، كنفقات الماء والكهرباء والتنظيف.

فقال: هذا طيب. فسألته عن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة

في المسجد؟ فقال: ثلاثة آلاف، فقلت له: هذا المصلى لا يتسع لهم، فقال: يصلون في كل المسجد.

أما الذين صلوا معنا العشاء فكانوا فوق المائتين، ولا شك في أنه يريد الذين يصلون فيه صلاة الجمعة.

علي تينغ:

صادف أن زارني في مكتبي في رابطة العالم الإسلامي قبل سفري بيومين الدكتور (إبراهيم جاو) وهو صيني من تايوان، وكان رافقني في زيارتي الرسمية لتايوان طيلة الرحلة من المملكة، وخلال الزيارة كلها، فسألته عما إذا كان يعرف أحداً من الصينيين الملتزمين في هونغ كونغ، لأنني قد أحتاج إلى الاستعلام عن بعض الأشياء التي يعرفها الصينيون أكثر من غيرهم.

فقال: أجل، إنه الشخص الذي لا نظير له في هذا الباب، فهو ملتزم، بل متحمس لا تفوته صلاة واحدة مع الجماعة، وبيته بجانب جامع كولون، لذلك يصلي فيه كل وقت، وهو يعرف خفايا الوضع هناك، ويمكن أن يصحبك إلى كل مكان تريده حتى إلى (ماكاو).

قال: وسوف يستقبلك في مطار هونغ كونغ إذا طلبت منه ذلك، أو أعطيتني موعد قدومك حتى أخبره بذلك.

فقلت له: إنني لا أرى داعياً لاستقبالي في المطار، ولكنني بحاجة إليه فيما سوى ذلك.

وعندما تركت الإمام رأيت رجلاً هو آخر من خرج من المصلى، فقصدته قائلاً: أأنت علي تينغ؟

فاستغرب. وقال: نعم، قلت له: إن صديقك الدكتور إبراهيم جاو حدثني عنك، وإنني ساكن في فندق وندسور، فإن رأيت أن تذهب معي إلى الفندق حتى أحدثك بما أريد، فاستجاب وهو يلبس اللباس العالمي المخفف الذي هو سروال غليظ (بنطلون) فوقه قميص خارجه يضرب إلى الورك، وفوق رأسه طاقية علامة على أنه مسلم ملتزم، وإن كنت رأيته يخلعها في بعض المواطن خارج المسجد، أما في داخل المسجد فإنه لم يكن يخل بلبسها أبداً.

ذهب الأخ (علي تينغ) معي إلى غرفتي في الفندق حيث شربنا الشاي فيها وتحدثنا طويلاً، ووجدت فيه بغيتي، فهو ذكي ويجيد الإنكليزية إلى جانب الصينية لغته الأصلية، وملامحه الصينية مخففة وإن كانت داخلة في الدائرة الصينية العامة، وذلك لكونه من شمال الصين، فقد ذكر لي البلدة التي كان أصله منها وهي المعروفة باسم (مكة الصغيرة) عند المسلمين الصينيين من سكان المنطقة، وهي واقعة في مقاطعة (كانسو) التي عاصمتها (لانجو) وقد زرتها وتحدثت عن ذلك في كتاب: ((**داخل أسوار الصين**))

المطبوع في مجلدين.

واسمها الرسمي (لينشا) ولها اسم آخر أظنه قديماً ولكنه لا يزال معروفاً وهو (خوتشو).

كان الشخص ذكياً إلى درجة عظيمة، وحريصاً على المعلومات العامة المتعلقة بالمسلمين في المنطقة، وفوق ذلك هو متقاعد ذكر أن عمره (٦٥)، ثم قال بعد ذلك: إنه ٧٠ إن لم أكُ غلطت في نقل الرقم منه، وليست له مشاغل.

قلت له: إنني أريد أرتب برنامج إقامتي معك، فكان يسارع إلى الإجابة على كل ما أطلبه منه، وحتى في الأمور الأخرى التي لا علاقة لها بالدين، فمثلاً قلت: إنني أريد أن أحجز غداً إلى دبي حتى أعرف مدة إقامتي في هونغ كونغ، فقال: في التاسعة والنصف غداً أذهب معك إلى وكالة لشركات الطيران، فيها أخت مسلمة سوف تجتهد لك.

قلت له: إنني أبحث منذ وقت عن شاي صيني بأكياس صغيرة، وبخاصة (شاي الياسمين) فقال: نذهب إليه الآن، لأن له مكاناً مختصاً، وهو سوبر ماركت، يقع قريباً من الفندق.

وهكذا خرجت معه واشتريت ما أردت شراءه من الشاي الصيني بالياسمين الموضوع في أكياس، وهو ما لم أستطع أن أجده في مدن عديدة بحثت عنه فيها، وإنما كان يوجد شاي

بالياسمين معبأ في علب معتادة.

وسألت عن معنى تينغ فقال: إنها أسرة مسلمة صينية معروفة في الصين، مثل أسرة (يانغ) التي تذكرت منها الخ (مصطفى بوه يانغ) الذي كان مترجماً لي في جولتين جلتهما في أنحاء من الصين، وذكرت أولاهما في كتاب: ((**العودة إلى الصين**)). وهو مطبوع، وذكرت الثانية في عدة كتب أحدها ((**على سقف العالم، وهو التبت**)) ولا يزال مخطوطاً.

يوم الخميس: ١٩/٧/١٤٢٠هـ /١٠/١٩٩٩م

جاء الأخ علي تينغ في الموعد المحدد بالضبط وهو التاسعة والنصف في الصباح، فذهبت معه إلى شركة السياحة والسفر، ووجدنا فيه الأخت المسلمة التي ذكرها، وهي تستحق هذا الوصف حقاً بمظهرها المحتشم، وعملها المتقن.

لم تجد هذه السيدة المحترمة أي مقعد خالٍ في الطائرات المسافرة إلى دبي في الموعد الذي أردته وهو يوم السبت القادم، رغم وجود رحلات كثيرة منطلقة من هونغ كونغ إلى دبي، ومنها رحلات لطائرات عربية مثل طيران الإمارات وطيران الخليج، إضافة إلى شركات الطيران في المنطقة، ولكن هذه الطائرات كلها محجوزة ومليئة إلى أيام.

واجتهدت هذه الأخت الكريمة حتى وجدت حلاً في أن أذهب مع شركة (كاثي باسفيك)، وتعتبر شركة الطيران الوطنية لهونغ كونغ إلى بانكوك ،وأن أبقى في مطار بانكوك ساعتين ونصفاً، أسافر بعدها مع خطوط بروناي إلى دبي، إلا أنها لم تجد حجزاً من دبي إلى الرياض، رغم كثرة الرحلات، وتعدد الشركات، ولكن كل مقاعدها من كل الدرجات مليئة، فرأت أن أسافر من دبي إلى مسقط ومن مسقط إلى الرياض.

إن هذا مناسب لي، لأنني أود زيارة مدينة مسقط عاصمة

عمان، ولكن ليس لدي الوقت الكافي لتلك الزيارة، فأنا من الفضوليين الذين إذا مروا ببلد لم يكفهم منه أن ينظروا إلى ما تحت أقدامهم ثم يغادروه، وفي ذهني سفر إلى عمان أتجول فيها إذا واتت الظروف في المستقبل، ومع ذلك وجدتني أوافق على هذا الخط رغم تعدد محطاته.

قالت الأخت: إنه يلزم تغيير تذكرتك من مكتب طيران السعودية هنا بغيرها، وسوف أقوم بذلك، وأسلمها للأخ علي تينغ لكي يسلمها لك.

فشكرتها وانصرفنا.

إلى جزيرة هونغ كونغ:

قدمت القول بأن اسم هونغ كونغ هو للجزيرة الصغيرة أضيفت إليها منطقة من (كولون) الصينية، وبينهما خليج بحري، رأينا زيارة بعض المساجد والمعالم فيها زيارة مجددة.

وذلك لأنني عندما زرت (هونغ كونغ) في المرة الأولى لم يكن فيه إلا مسجدان، أحدهما مسجد كولون وكان صغيراً ضيقاً آنذاك، والثاني مسجد في (هونغ كونغ)، أما الآن فإن فيها خمسة مساجد، أحدها جامع (كولون)، وأربعة مساجد في (هونغ كونغ).

وقد قال لي الأخ (علي تينغ): إن لنا نحن المسلمين الآن خمسة ساجد في هونغ كونغ) ومقبرتين.

ركبنا حافلة من موقف للحافلات مهم أمام جامع كولون، وهي حافلة ذات طابقين كأكثر الحافلات العاملة في (كولون)، قاصدين ميناء السفن أو القوارب التي تتردد بين هونغ كونغ وكولون، وهذا الطريق البحري هو وسيلة واحدة مهمة من وسائل الاتصال بين قسمي هونغ كونغ، وهو فوق الماء، والوسيلة الأخرى: تحت الماء، فقد شق الإنكليز، أو لنقل الحكومة المحلية التي كانت في عهدهم نفقاً تحت مياه البحر، تسير فيه قطارات كهربائية بين هونغ كونغ وكولون.

واخترنا الوسيلة الأولى كما يفعل أكثر الناس الذين يحبون أن يستمتعوا بمنظر البحر، وإلا فإن القطار الكهربائي الذي يسمونه (صب وي) بمعنى تحت الأرض، وهو تحت الأرض التي هي تحت الماء، وقد استعرضت ما مرت به الحافلة من مدينة كولون فوقر من ذهني ما ظننته أولاً من تحول في طبيعة السكان في هونغ كونغ من بلد متعدد العناصر، وإن كان العنصر الأغلب فيه هو العنصر الصيني، إلى بلد يكاد يكون صينياً خالصاً، فقد غادرها رعايا البلاد المزدهرة، وبقي فيها بعض رعايا البلدان المحتاجة مثل الهند وباكستان وبنغلادش، والمراد بذلك من أصولهم من القارة الهندية، وإلا فإن الذين كانوا من هونغ كونغ قد

حصلوا على رعوية بريطانيا، بقوا على جنسيتهم البريطانية، إلا أنه من الغريب أن الإنكليز غادروها بحيث لا يرى المرء منهم في الشوارع أحداً، وإن كان يوجد في بعض الشركات والمؤسسات أفراد منهم، مثلها في مثل ذلك معظم المستعمرات البريطانية السابقة، إذْ يغادر الإنكليز الذين كانوا فيها إلى بلادهم، لكونهم لا يطيقون أن يصبحوا محكومين لمن كانوا يحكمونهم.

وذلك بخلاف الفرنسيين والبرتغاليين والإسبان الذين يبقى في العادة عدد منهم في مستعمراتهم السابقة، ويكونون أو يكون بعضهم قد اختلطوا مع أهل البلاد بزواج أو نحوه.

وحتى اللافتات الرئيسية في هونغ كونغ انقلبت إلى صينية، إلا بعض المتاجر والمحلات الإنكليزية التي تكتب اللغة الإنكليزية إلى جانب الصينية أو تحتها.

وصلنا منطقة الميناء، فلبثنا نسير فيه حتى وصلنا إلى الدخول إلى السفينة، وهنا سألني الأخ علي تينغ بدون مناسبة قائلاً: هل تجاوزت الخمسين ؟ فقلت مستغرباً: نعم.

فقال: أنا تجاوزت الخامسة والستين، وكل من تجاوز الخامسة والستين ركب في هذه السفينة مجاناً، ثم سلم على الشخص الذي كان واقفاً يأخذ الأجرة من الركاب، وقال: هذا صديقي يعرفني ويعرف أنني أستطيع الركوب مجاناً، وأنت

صديقي عندما يراك، مع أن عمري الآن هو ٧٥.

وهكذا ركبنا السفينة معاً بدون أجر، ربما صح أن تسمى عبَّارة لولا أنها لا تنقل السيارات ولا أدري ما إذا كانت توجد سفينة أخرى تنقل الأثقال الأخرى، فلا بد أن يكون ذلك أو شيء منه.

بدأت السفينة التحرك في العاشرة وخمس دقائق.

وليس الخليج البحري الذي يفصل بين جزيرة هونغ كونغ وكولون عريضاً، وهو الذي كان يسمى أمثاله بالخور، ولكن السفينة لن تذهب قاصدة من شاطئ كولون إلى شاطئ هونغ كونغ، وإنما تميل يميناً فتسير فترة في مياه هذا الخور.

وقد أسرع الأخ (علي تينغ) يشير إلى مبنى على شاطئ البحر متميز ليس بعلوه، بل إنه ليس عالياً بالنسبة إلى الأبنية الضخمة التي تنتصب بإسراف على شاطئ (هونغ كونغ) وهو يقول: إنه القاعة التي تم فيها توقيع الاتفاق بين بريطانيا والصين على خروج بريطانيا من هونغ كونغ وتسليمها للصين، بموجب شروط خاصة، وألحّ عليَّ في أن التقط صورة لهذا المبنى.

ولا شك في أن حرصه على التنويه نابع من كونه مسَّ مستقبله ومستقبل أمثاله من مواطني هونغ كونغ، وقد أراني جواز سفر هوكنغوي يحمله، وقال: هو غير جواز السفر الصيني، نحن

لنا وضعنا الخاص، ولسنا مثل بقية أنحاء الصين الشعبية.واعية.



القاعة التي وقع فيها الاتفاق بين بريطانيا والصين حول انتقال هونغ كونغ إلى الصين

كان مسير السفينة في هذا الخور أو الخليج جميلاً رخاء، والهواء البحري المعتدل يصافح الوجوه، والأذرع العارية من الأكمام، ومنظر الأبنية الضخمة العالية الفاخرة الطلاء مما يجعل المرء يتمنى أن تتأنى هذه الباخرة، مع أنه يمكنه أن يسير بقدميه على الشاطئ فيرى ذلك، ويرى الشاطئ الآخر، بل إنه منه قريب، ولكن مجرد الشعور بأن المرء يسير على صفحة اليم تحمله سفينة

مع مئات من الناس متعددي الأجناس، وإن كان الجنس الصيني هو الأغلب كما هو كذلك في أكثر الأماكن في هذه البلاد.

قلت للأخ على تينغ: إنني لا أصدق أن عمرك قد تجاوز الخامسة والستين فهذا ليس واضحاً عليك، فقال: أنا ولله الحمد لا أشرب الخمر ولا أتناول حراماً، ولذلك متعني الله بالصحة والعافية وليس لي من عمل إلا الدعوة إلى الله.

وقال: لقد سلمنا من دفع دولارين وثلث دولار أجرة للسفينة عن كل واحد منا، بسبب السن.

عند ما نزلنا في المرسى في هونغ كونغ لبثنا نسير فترة حتى خرجنا من منطقته، فقلت في نفسي: ماذا يفعل الشيوخ والعاجزون في هذه المسافة الطويلة بالنسبة إليهم ؟.

سرنا غير بعيد في منطقة مرتفعة نوعاً ما، لأن معظم هونغ كونغ واقع على جبال، حتى وصلنا شارعاً تنتصب على حافتيه أبنية مرتفعة عالية، جيدة المظهر.

مسجد عمار:

فرأينا المسجد في مبنى يرتفع ثماني طبقات، وقد كتب على واجهته بالعربية اسمه: (مسجد عمار، ومركز عثمان الإسلامي) وقد تبادر إلى ذهني أن المراد بعثمان هو عثمان بن عفان ﷺ، إلى أن

قرأت الاسم بالإنكليزية (مسجد عمار ومركز عثمان رامزيو صديق سلامية سنتر).

فتبين أن عثمان الذي أضيف إليه المركز الإسلامي هو المحسن الكبير الذي بنى هذا المبنى المؤلف من ثمان طبقات، يقع المسجد الذي هو المصلى الرئيسي في طبقة واحدة، ولكن مرافقه في طبقة أخرى، ويقع المركز الإسلامي في طبقة ثانية.

حدثوني أن عثمان هذا ثري من أثرياء هونغ كونغ، وهو ماليزي الأصل، هكذا قال علي تينغ، إلا أن علياً قال: ربما جده الثالث أو الرابع جاء من ماليزيا إلى هونغ كونغ، لأنه قديم السكنى فيها، وقال غيره: هو صيني، وأنه أوقف هذا المبنى الكبير على المسجد وما حواه من مرفقات المركز.

قالوا: وقد أنشأ أيضاً ملجأ لكبار السن من المسلمين، وأوقف عليه أوقافاً تدر عليه ريعاً كافياً لاستمراره في العمل وتشغيله.

ويقع المسجد في حي يسمى (آي كون رود) في منطقة غالية، ذات أبنية تستعمل مكاتب رغم علوها.

ذكروا أن هذه منطقة مختلطة السكان، وليست صينية خالصة، بخلاف بعض الأحياء التي هي خالصة للصينيين منذ زمن قديم.

واعية.



فصل دراسي ملحق بمسجد عمار في هونغ كونغ

وجدنا في داخل المركز في القسم الأرضي أخاً كشميرياً كأنه حارس أو مسؤول عن المبنى، لأنه على مكتب في المدخل، فسلمت عليه، وعجب أشد العجب عندما أخبرته أنني زرت كشمير وتجولت فيها من أقصاها إلى أقصاها، فقال علي تينغ: أنا عجبت أشد العجب عندما عرفت أنك زرت الصين وتجولت فيها، وعرفت من مدنها وقراها ما لم يعرفه أهلها.

ورأيت قاعة في الداخل في هذا المبنى الأرضي فيها مدرسة لصغار الطلاب، معهم اثنتان من الباكستانيات، ولما أردت التقاط

صورة للأطفال أشاحت إحداهما بوجهها مبتعدة عن الصورة، ولم أكن أرغب في تصويرها.

ورأيت في مدخله لافتة تشير إلى جمعية الشباب المسلم، وأن مكتبها في هذا المركز.

مطعم المسلمين الصينيين:

يوجد في قسم من طابق في المبنى فوق المسجد، وأظنه الرابع، مطعم إسلامي صيني، ونسبة المطعم الصيني إلى الإسلام هو مصطلح غير دقيق، إلا إذا أريد أهله الذين هم منسوبون للإسلام، فهذا صحيح.

وعلى أية حال فقد سررنا بوجوده هنا، لأن الأخ (علي تينغ) يعرفه من قبل، ويعرف أهله، وطائفة ممن وجدناهم فيه من المسلمين، لأنه رجل اجتماعي نشط في التعارف، حتى إنه كان إذا سلم عليه أحد قدمني إليه وقال: هذا من مكة المكرمة، أو هذا من المملكة العربية السعودية، وقد نهيته عن فعل ذلك إلاَّ لمن يقتضي الأمر أن يعرفوا من أنا بسبب من الأسباب الوجيهة.

وجدت المطعم صينياً حقاً، يقوم عليه الإخوة المسلمون، وجميع العاملات فيه من النساء اللاتي تجاوزن منتصف العمر، إلا المدير الذي يتسلم النقود فإنه شيخ قوي.

وجاءت إحداهن بقائمة الطعام، فإذا فيها أو هي كلها ما لا أعرفه، حتى لو عرفت اللغة الصينية التي كتبت بها القائمة، لأن أطعمة الصينيين غريبة، ولها أسماء أغرب منها.

فكان الأخ علي تينغ، واسم والده عبد الله، يشرح لي ذلك، فقلت له: أريد أولاً الحساء الصيني المعروف الذي يطبخون معه الإربيان (الروبيان) وفق طريقة خاصة، وتكون معه مواد أخرى، منها قطع صغيرة من الزنجبيل الطازج، وقطع من شيء أبيض أملس، ذكروا أنهم يصنعونه من نشاء نوع من الفاصوليا، وهو الدقيق المنخول حتى يصير أملس، لا يمكن للشخص أن يمسك به بين أصابعه لو أراد، مع أنهم يأكلونه بالأعواد الصينية، وأنا أفعل ذلك بالشوكة والملعقة المعتادة لأنني لا أحسن الأكل بالأعواد الصينية، ولم أحاول ذلك، وأظن أنني لو حاولت لما نجحت.

والمطعم واسع لم أرَ فيه كثير أكَلَةٍ، لأن الساعة كانت قبيل الثانية عشرة بقليل، ولكن ما أن بلغت الثانية عشرة حتى امتلأ على رحبه، وقالوا: إن أكثر هؤلاء الذين جاؤوا للأكل فيه هم من الصينيين غير المسلمين، ممن يعملون في المكاتب المجاورة للمسجد.

ذكروا أن غير المسلمين يأتون إليه لجودة طعامه ورخصه.

بعد الحساء الذي شربته وهو كثير لنا نحن الاثنين، يغرف

الواحد بملعقة صينية من الخزف كبيرة منه، فيضع في سلطانية صغيرة، ثم يشربها بملعقة صينية خاصة به.

جاؤوا بصحن كامل من الخضرة المطبوخة يطير دخانه، وهي من نوع واحد يشبه الجرجير على البعد، إلا أن جذعه أضخم منه، ولو كان عندنا لأطعموه الحيوان نيئاً.

وكنت طلبت منهم سمكاً مطبوخاً بالمرق، لأنني مللت السمك المشوي والمقلي، فجاؤوا به مطبوخاً مع خضرات تشبه الأعشاب، ويكاد السمك يختفي بينها لأنها بيضاء والسمك أبيض جداً، لأنهم لم يضيفوا إليه أي شيء يغير لونه، من صلصة أو نحوها، وكان السمك قطعاً صغيرة لذيذة، وقد طبخوه مع الخضرات فصارت له نكهة خاصة، ولها أيضاً نكهة خاصة، وطبخوا نوعاً من الفطر الأسود الجيد، ولم يقدموا شيئاً من اللحم لأننا لم نطلبه، ونحن نريد التخفيف من الأملاح ومن الشمعيات (الكلسترول) في الجسم.

وقد طبخوا معه نوعاً من الفطر الأبيض أيضاً، وإن لم يكن بياضه ناصعاً، ولهم ولع به وبالروبيان، وقال الأخ علي بهذه المناسبة: إن حظكم جيد إذ يباع الروبيان الجيد عندكم بأربعين ريالاً للكيلو، وهو يباع هنا بما يعادل مائة ريال.

فقلت له: إنني لا أحب أكله، لأنه يرفع مستوى الشمعيات

الدموية كما هو معروف، ولكن توجد لدينا أنواع جيدة من الأسماك التي تخفض مستوى تلك الشمعيات الدموية عن طريق توليد شمعيات غير ضارة في الدم.

وكان نجم المائدة الذي أحضروه من أولها واستمر حتى أخرها هو الشاي الصيني بالياسمين، وقد يسمونه (شاي الياسمين) لأن فيه زهور الشاي، وإن لم يكن كله من زهور الشاي، وكنت قرأت وسمعت عن فوائد الشاي الصيني ما أغراني بشربه والتعود عليه، بعد أن جربته، وأردت أن أدفع ثمن الغداء فأسرع شخص لا أعرفه اسمه (حسن يانغ) صديق لعلي تينغ ودفع ثمن غدائنا نحن الاثنين، وهو أستاذ رياضة بدنية .

صلاة الظهر:

نزلنا من عند المطعم وقد ازدحم بالرواد الذين كان أكثرهم من غير المسلمين إلى الطابق الثاني، حيث المصلى الرئيسي وهو المسجد، فوجدنا المؤذن على وشك الأذان، ثم أذن آذانا يشبه ما يروى من أن بلالاً الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ كان ينطق بالشين سيناً، ولذلك روى العامة في الحديث (إن سين بلال عند الله شين)، وهو حديث غير صحيح، فكان هذا المؤذن الذي لا أدري إلى من ينتمي إن لم يكن من أهل الهند لا يستطيع النطق بالحروف الحلقية، ولا يخرج الكلمات العربية من مخارجها الصحيحة.

ثم جاء الإمام بعد أن صلينا تحية المسجد ركعتين، وقد ارتدى قميصاً سعودياً، ووضع على رأسه طاقية بيضاء تماماً مثلما فعل إمام جامع كولون، إلا في لون الطاقية، ولم أر شخصاً واحداً آخر عليه القميص العربي، وإن كان أكثر المصلين لا يرتدون الملابس الإفرنجية، وإنما هي الملابس الهندية.

وكانت إقامة الصلاة هذا الظهر مثل (عشاء) البارحة إقامة حنفية، كل شيء فيها مثنى مثنى إلاَّ (لا إله إلا الله) في آخرها لأن القوم أحناف المذهب.

وذلك بخلاف ما رأيتهم يفعلون في جنوب الفلبين، حيث يؤدون الإقامة مثلنا تماماً، لأنهم شافعية، والمسجد متوسط السعة، في مقدمته صف من المراوح الكهربائية تعمل، وهو عالي السقف، وفي آخره شرفة لصلاة النساء.

جولة في المركز الإسلامي:

ركبنا المصعد الذي يذهب إلى الطابق الثامن في جولة على مكاتب عديدة، كلها تابعة للمسجد، أو لنقل لهذا المسجد الذي يؤلف النواة الأساسية للمركز الإسلامي.

فمررنا بعدة غرف جيدة التأثيث، يعرف الأخ علي تينغ أكثر الموجودين فيها، وبعضها تابع لجمعيات إسلامية تتخذ هذا المركز مقراً لها.

ومن مظاهر النشاط الكثيرة لوحة كبيرة عليها البرنامج الكامل للمركز لتعليم الدين الإسلامي وقراءة القرآن الكريم، وتدبره، بل ولتعليم اللغة العربية كما كتبوا ذلك عليه.

وقد جُلْنا حتى في أماكن الوضوء التي جعلوها في طابق واحد متسع، فيها فناء أمامها، وهي عديدة، فأماكن الوضوء غير أماكن البول كما اعتاد أمثالهم على ذلك، حتى ولو كانت في أماكن البول أحواض لغسل الأيدي يمكن أن يتوضأ منها المرء واقفاً، أسهل مما إذا توضأ في أماكن الوضوء التي يحتاج إلى أن يقعد فيها قعوداً.

ولاحظت أن الموظفين في مكاتب المركز من مختلف بلدان المسلمين، وإن كان الجنس الهندي هو الغالب عليه، يليه الجنس الصيني، وأما العرب فقد رأيت منهم شاباً مصرياً ربما كان يعمل بالترجمة، لم تعجبني إجابته على سؤالي عن عدد الذين يصلون الجمعة في المسجد؟ فقال: لا أعرف، وقد عجب الأخ علي تينغ من ذلك، وقال: لا يخلو من أن يكون لا يعرف فيكون لا يؤدي صلاة الجمعة، أو أن يكون صادقاً فيكون مغفلاً، لأننا طلبنا منه أن يخبرنا بذلك على وجه التقريب، ولم يخبرنا حتى بما إذا كان المسجد يمتلئ بالمصلين يوم الجمعة.

ولاحظت أن بين العاملين في المركز نسبة من النساء، بل

ربما كن أكثر من الرجال منهن، صينيات وهنديات.

مع إمام المسجد:

كنت ذكرت لإمام المسجد أنني أحب أن أتحدث إليه في مكتبه لأنني رأيته مفتوحاً، ولكنه لم يكن موجوداً فيه.



مع إمام مسجد عمار في هونغ كونغ في أحد المكاتب التابعة للمسجد

وجدنا مكتبه مؤثثاً تأثيثاً جيداً، ومائدة الكتابة فيه حافلة بالملفات، وفيه خزانة فيها كتب، قال الإمام: اسمي عثمان يوسف، وأنا من أسرة تانغ الصينية، درست في الجامعة الإسلامية

في إسلام آباد، ومازلت أحمل الجنسية الصينية.

وذكر أنه يتسلم راتبه من الاتحاد الإسلامي في (هونغ كونغ)، وهو الذي يشرف على جمع التبرعات، ويستثمر أموال المساجد ثم ينفق عليها منها، وله مجلس أمناء مخول بذلك.

سألته عن القاديانية الكافرة، وهل لها نشاط غير معتاد هنا، فقال: لا، ليس لهم قبول عند الناس، ولذلك لا نشاط لهم، فسألته عما إذا كانت توجد خلافات مذهبية بين المسلمين، فنفى ذلك وقال: النشاط الإسلامي يشرف عليه مجلس الأمناء فيما يتعلق بالمساجد، وليس بين المسلمين خلافات مذهبية.

وهذه المعلومات مهمة لي، وأحببت أن أسمع من مثل هذا الأمام الذي يتكلم العربية مثل إمام جامع كولون، مع أن اللغة الإنكليزية شائعة عند الجميع.

سألت الإمام عما إذا كان يحتاج إلى شيء من رابطة العالم الإسلامي، فذكر أنهم يحتاجون إلى ترجمة صحيح البخاري بالإنكليزية، وكذلك ترجمة صحيح مسلم.

وقال فيما يتعلق بعدد الذين يصلون صلاة الجمعة: إنه يبلغ خمسمائة مصلٍ في المتوسط، وأما الأوقات الأخرى في الظهر كما رأيتم صلى معنا تسعون.

وهذا صحيح كما شاهدته.

وقال: لدينا دعوة إلى الإسلام، وتعليم للدين الإسلامي في هذا المركز، وكله تحت إشرافي، فشكرته على ذلك ودعوت له بالثواب، وبالمزيد من الخير.

إلى أول مسجد في هونغ كونغ:



المؤلف فوق جسر على أحد الشوارع في قلب هونغ كونغ

قال الأخ علي ونحن نخرج من مسجد عمار: إن أول مسجد في (هونغ كونغ) الذي سوف نزوره بعيد، ولدينا وسائل للوصول إليه مثل الحافلات، وعربات الترام الكهربائية.

والقطار الكهربائي الذي هو الترام أو الترمواي كما ينطق به المصريون هو هنا عربة واحدة من طابقين، ولم أكن رأيت (تراماً طابقين من قبل).لا في مصر التي هي أول أرض رأيت فيها الترام عام ١٣٧٥هـ أي منذ ٤٥ سنة ولا في المدن الشيوعية وبعض المدن الأوروبية التي لا يزال يجري فيها حتى الآن.

كما أنني لا أذكر أن رأيته عربة واحدة، وإنما كان يتألف من عربتين في الأكثر، وقد يكون أكثر من عربتين، وجدنا الترام مزدحماً جداً، ولكن الجيد فيهم هذا النظام الصارم الذي تعود عليه الناس، وهو أن الراكب يركب من مؤخرة العربة فيجد أمامه درجاً للطابق الثاني إن كان يريد أن يصعد منه، ولو أراد الراكب أن ينزل إلى الباب الخلفي فترى النازلين إليه متجهين إلى جهة واحدة، والصاعدين قادمين من جهة أخرى، وهذا يمنع التضارب في السير، وبالتالي يمنع الزحام، ومع ذلك كانت كراسيه كلها مليئة والناس واقفون في وسطه، أي في الممر قد ملؤوه ، إلا أن ذلك كله كان يتم بنظام، وبأدب جم، مع أن طائفة من الركاب من النساء مثلما هن موجودات في الشارع.

ومما يسجل هنا لأهالي (هونغ كونغ)، وأظن ذلك جزءاً من الثقافة والتربية في الصين، أن المرء لا يلاحظ عليهم ما يخدش الحياء، أو ينافي الأدب في الطريق أو الشارع، أو هذا المركوب المزدحم، وكذلك الحافلات والقطارات الكهربائية الطويلة أي الكثيرة العربات.

الدرجات المتحركة المتعاقبة:

نزلنا من عربة الترام أو القاطرة الكهربائية لأنها تسير بالكهرباء، ولكن على القضبان في الأرض، وما لبث الأخ الخبير علي أن أسرع إلى منطقة جبلية يعرف المرء ذلك من أمرها لكونها مرتفعة وإن لم يرَ شيئاً من حجارتها، لأنها كلها أبنية ضخمة أو متوسطة تخللها شوارع مزفتة مستوية.

فصعدنا إلى درجات متحركة كهربائية، وهي المعبر عنها بالسلم الكهربائي، وهذه التسمية وإن كانت صحيحة من حيث الاشتقاق اللغوي، فإننا نحن الذين كنا نستعمل كلمة سُلَّم، للخشبي الذي يحمل من موضع إلى موضع لا نستسيغ ذلك، ولكون هذه الكهربائية المتحركة على هيئة زلفات - جمع زلفة - وهي الواحدة من الدرج الذي يصعد منه في البيت للسطح ونحوه.

لذلك يكون استعمال كلمة (السُّلَم) لهذا غير دقيق عندنا، والأفضل أو لنقل إنه المطابق لواقعه أن يقال الدرج المتحرك، أو

الدرج الكهربائي المتحرك.

أما إذا نظرنا إلى الاصطلاح الموجود الآن في البلدان العربية أو أكثرها، وهو أن يسموا الدرج نفسه بالسلم، ولو كان جامداً غير متحرك، فإن تسمية هذا الكهربائي بذلك جائزة.

وعلى أية حال فقد صعدت مع الأخ علي تينغ على درج متحرك، ما لبث أن أفضى بنا إلى زقاق معترض قطعناه فوجدنا أمامنا درجاً متحركاً آخر، فصعدناه فوجدنا الأمر مثل الأول يقف عندما يعترضه شارع ضيق تسير عليه السيارات، ثم يبدأ الصعود بعد ذلك مع درج كهربائي متحرك أيضاً.

وكل ذلك وسط أحياء سكنية فيها الأبنية متعددة الطبقات، وفيها المساكن والمتاجر، وتجري بينها السيارات معترضة طريقنا.

أما طريقنا نفسه وهو الصاعد، فإنه لا يصعد معه أو ينزل فيه إلا من كان وحده، أو يحمل بنفسه شيئاً: إلا أن الملاحظ أن كل درج كهربائي متحرك يكون بجانبه درج معتاد جامد، أي غير متحرك، مخصص للنازلين من هذه المنطقة السكنية الجبلية العجيبة، فقد افترضوا أن النزول من الدرج غير متعب لأحد، أو أنهم يعرفون أنه يتعب كبار السن أو المرضى، لكنه تعب يمكن تحمله، بخلاف الصعود.

وهنا وردت في ذهني قاعدة قالها أحدهم، وفيها كثير من الصحة، وهي اختبار للصحة وقوة الجسم في محاولة صعود الدرج وهبوطه قال:

إذا كان الصعود مع الدرج سهلاً عليك مثل سهولة النزول منه فأنت شاب.

وإذا كان الصعود من الدرج صعباً عليك، والنزول سهلاً فأنت كهل، إما إذا كان النزول من الدرج صعباً صعوبة الصعود منه فأنت شيخ هرم !!!.

ونحن لم نجرب النزول من هذا الدرج نفسه، لأننا بعد أن وصلنا هدفنا، وهو أول مسجد أنشئ في هونغ كونغ وانتهينا منه ركبنا سيارة أجرة بعد أن سرنا قليلاً في أحد الأزقة المعترضة.

والأبنية العالية هنا في كل مكان اتجه إليه بصرك، تعجب كيف يأمن أهلها من زلزال أو نحوه قد يقوض أركانها، لأنها واقفة في السماء على أراضٍ ضيقة.

ولكنهم بلا شك يحسدهم أهل شواطئ هونغ كونغ التي كثيراً ما تزورها العواصف والأعاصير البحرية، فتدمر منها ما تدمر، وتنغص حياة السكان.

وهنا شيء مهم آخر، وهو أن هذه المنطقة الجبلية التي لا تعتبر واسعة، بل تعتبر ضيقة، هي مرتفعة نسبياً عن سطح البحر،

ولكنه ارتفاع غير متدرج، لذلك يختلف الهواء فيها عن هواء الساحل، فهي أقل رطوبة، وبذلك يكون الشعور بالحر فيها أقل مما هو عليه في الساحل، إضافة إلى مجرد شعور المرء أنه في منطقة مرتفعة يشرف على من تحته.

أما الشيء المهم في البلدان المتخلفة، وهو توفير المرافق العامة، وأهمها الماء للأماكن المرتفعة، فإن الإدارة الإنكليزية الحازمة قد حلت ذلك بتوفير الأشياء اللازمة له، وذلك بضخ المياه إلى خزان أعلى من المنطقة، ثم إرساله إلى المنطقة بالأنابيب مع تحميل تكاليف ذلك على أهل البيوت الذين يتحملونه للرواج الاقتصادي الذي نشأ عنه ارتفاع الدخول في هونغ كونغ.

مسجد هونغ كونغ:

واصلنا صعودنا مع الدرجات المتحركة التي يفصل بين الواحد منها والآخر فاصل معترض من شارع أو زقاق، ثم يصعد منه إلى أعلى، حتى تجاوزنا أربعة عشر درجاً كهربائياً، أكثره طويل، ودرجها بمعنى زلفاتها التي يضع المرء عليها رجله منها، تبلغ مئات كثيرة، حتى وصلنا إلى موضع ليس في القمة بالنسبة إلى ما فوقه من هذه المنطقة الجبلية التي لا يحس المرء بأنها جبلية إلا أن كونه يرتفع فيها مع هذه الدرجات الكهربائية أو السلالم.



مقدمة أول مسجد في هونغ كونغ

حتى وصلنا إلى المسجد، فوجدناه لم يكتف بانوه بأن يكون في هذا المكان المرتفع، حتى جعلوا له درجاً من الزقاق الذي يقع عليه، ذلك لأن طبيعة الأرض هي جبلية مرتفعة، وقد كتب عليه اسمه (مسجد هونغ كونغ) ويقع على شارع (تشيلي

ستريت) وسمي بمسجد (هونغ كونغ)، لأنه عندما أنشئ لم يكن في (هونغ كونغ) مسجد آخر غيره.

دخلنا مع بوابة يصعد منها إلى فنائه المكشوف، مكتوب عليها جملة (هو الدائم)، وهذه الجملة كثيراً ما تكتب على المقابر، وربما كان هذا ناشئاً من كون المسجد عندما أنشئ كان يظن انه ستكون فيه مقبرة للمسلمين، مثلما رأينا بعض المساجد أو كثيراً منها في بلدان الأقليات المسلمة القليلة العدد، تكون بجانبها مقبرة.

وهذا في القديم عندما أنشئ هذا المسجد، أما الآن فإن المسلمين في هونغ كونغ لديهم مقبرتان، ولا يحتاجون لمقبرة في مكان ضيق جبلي مثل هذا.

وتحت اسم المسجد كتبوا بالحروف العربية في اللغة الفارسية تاريخه ١٥ أغسطس عام ١٩١٥م.

ولكننا وجدناهم على الباب الداخلي للمسجد مما يلي الفناء كتبوا أوضح من هذا بالإنكليزية وترجمته: ((**هذا المسجد أعيد بناؤه بواسطة إسحاق إلياس من بومبي، وضع حجر الأساس له في خمسة عشر أوغسطس ١٩١٥م**)).

ويعرف هنا بالمسجد الجامع، إلا أنهم كتبوا الاسم غير

محرر إذْ كتبوه بالعربية (جامع مساجد) وليس جامع مسجد التي اعتدنا عليها عند من يتكلمون بالفارسية أو الأوردية، فيقدمون المضاف إليه على المضاف، وحقها أن يقال فيها (مسجد الجامع)، والأفصح (المسجد الجامع)، وأعلى من ذلك هذا الجزء من الآية الكريمة ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾.

هكذا وتحتها بالإنكليزية: (جامعا مسجد) مما قد يقرؤه من لا يعرف الأمر بأنه (جامعة مسجد).

وكل هذا يدل على أن الذين كتبوا هذه اللوحات أو الذين بنوا المسجد لهم من إخواننا المسلمين من الأعاجم البعيدين عن معرفة اللغة العربية، ولا يضر ذلك عند الله، لأن المهم هو العمل، وقد عملوا على بناء هذا المسجد في وقت مبكر، يكفي فيه أن نتذكر أنه أعيد بناؤه قبل ما يقرب من مائة سنة كما تقدم.

فمتى كان بناؤه الأول؟

لم نجد في المسجد من نستفيد منه في هذا الأمر، ففيه طالب علم شاب، وهو الذي يسميه أهل الهند (مولانا)، وذلك أنه يلبس ملابس طلبة العلم في الهند، وهي القميص الطويل ولكنه أقصر من قمصاننا العربية بكثير، بل يقف نزوله من الجسم إلى حد الركبة، تحته سروال طويل يصل إلى الكعبين أو ما فوقهما،

ثم قلنسوة (طاقية) على الرأس، وحول (مولانا) هذا مجموعة من الطلاب الذكور صغار السن، وفيهم من هو صغير جداً لا تتعدى سنه السابعة، وكلهم جاء مع الفارق في أسنانهم إلى المسجد ليتعلم قراءة القرآن الكريم على الشيخ.

وبجانبه شخص آخر يظهر كذلك أنه طالب علم، أو مجرد شخص متدين.



مدرس وحوله تلاميذه في أول مسجد في هونغ كونغ

رميت إليهما ومعهما الأطفال بالسلام، ولم أصافحهما لئلا أقطع عليهما الدرس، وقصدت المحراب حيث التقط الأخ (علي تينغ) لي صورة في محرابه، ثم أتيت إليهما في طلب الإذن بالتقاط

صورة للطلاب مع الشيخ، وقد مانعوا أول الأمر، ثم أخبرهم الأخ علي بالقصد من ذلك، وهو أن يرى الإخوة المسلمون في خارج (هونغ كونغ) إقبال الطلبة على تلاوة القرآن الكريم.

تأملت المسجد فوجدته متوسط السعة، وكذلك متوسط الأثاث، ولكنه نظيف، ثم خرجت إلى فنائه الذي ليس واسعاً، وقد بنوا بجانبه من الداخل ما يشبه المقاعد، رأيت على أحدها أطفالاً صغاراً يلعبون وحدهم، في وجوههم بياض ظاهر قالوا: نحن بشتو من أفغانستان.



المؤلف في محراب أول مسجد في هونغ كونغ

ثم جاء رجل باكستاني أو هندي فجلس إلينا وسألناه عن

تاريخ المسجد فقام ثم أحضر ورقات مطبوعة وقال: في هذه تاريخ المسجد، فوجدت الأمر كذلك من إلقاء نظرة على بعضها، أسرع ينتزعها مني.

فقلت له: إنني أرجو أن تبيعها عليَّ، فأنا أحتاج إليها، وأنت ربما تستطيع الحصول على نسخة أخرى فامتنع من ذلك، وقال: هذه النسخة الوحيدة، مع العلم بأنها مطبوعة، فلما ألححت عليه قال: يمكنك أن تصورها وتأخذ الصورة. قلنا: وأنت لا تكفيك الصورة؟ قال: لا.

وكان يتكلم بطريقة خالية من المجاملة، بمعنى أنه أحياناً لا يجيب على السؤال، أو يبدو غير راضٍ عن ذلك، لذلك لم أر عنده كثير فائدة.

يمنعهم من الدخول إلى المسجد:

في هذه الأثناء حضر إلى المسجد جماعة من الأوروبيين تبين أنهم من الإنكليز، فوقفوا معنا في الفناء الخارجي المكشوف، وكلمهم الأخ (علي تينغ)، وهو رجل متفهم للأمر، ويعرف الإنكليزية كأهلها، فذكروا له أنهم جاؤوا لرؤية المسجد، ولكن الذين فيه صدوهم.

ثم تجولوا في الفناء الخارجي، وذهبوا إلا أن أحدهم عاد وهو رجل أبيض الشعر في نحو الخامسة والخمسين وقال: إنني أحب

أن أرى المسجد، وقد ذهبت النساء، ولكن الهندي الذي كان جالساً معنا امتنع وقال بخشونة: اذهب والبس بنطلوناً طويلاً وائت، أما الآن فلا. وكان يلبس سروالاً قصيراً.

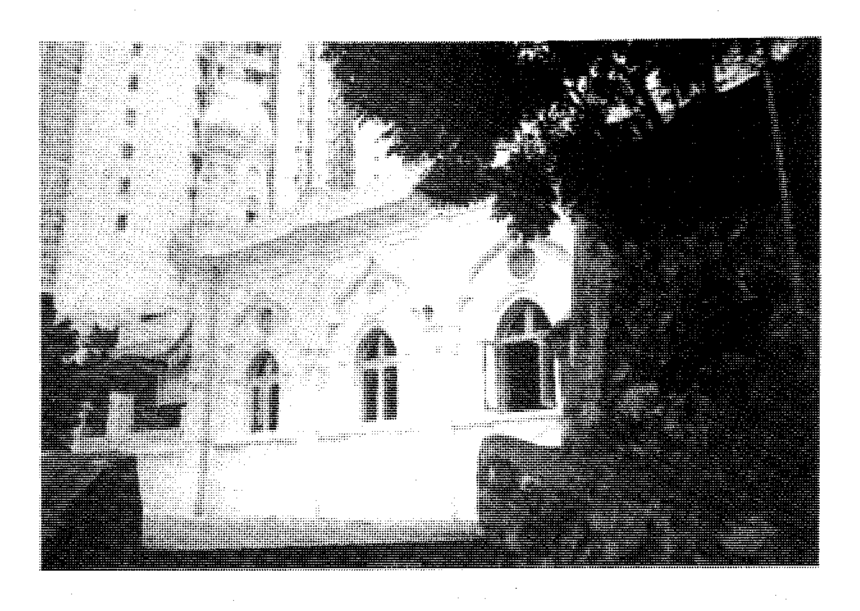
فعاد منكسر الخاطر، علماً بأن الذي درج عليه بعض أهل المساجد التاريخية مثل هذا هو أن يكون لديهم لباس يشبه العباءة أو الرداء، يلبسونه \الأوروبيات وغيرهن من غير المتسترات اللاتي يردن دخول المسجد ومشاهدته، ويستعيدونه منهن عند انتهاء الزيارة، وأكثر من رأيتهم يفعلون ذلك المسؤولون في الجامع الأموي في دمشق.

ومثلهم أهل جامع خسروبيك في سراييفو عاصمة البوسنة.

ولم أستغرب خشونة هذا الرجل مع الأوروبيين، لأنه لم يكن لطيفاً معنا نحن إخوانه المسلمين.

أردت أن ألتقط صورة عامة يظهر فيها المسجد واضحاً، غير أنني رأيت أن الأبنية العالية الموجودة في منطقته قد غمرته حتى تختلط معه في الصورة، ومن ذلك (عمارة) تقع إلى الشمال منه، أحصيت طوابقها فبلغت ٢٧ طابقاً.

وقلت في نفسي ولصاحبي: لو كان أهل المسجد عندهم معرفة بالأمور الاقتصادية لهدموا المسجد وبنوه من جديد طوابق عديدة، كما عليه الحال في مسجد (عمار) الذي زرناه قبله.



أول مسجد في هونغ كونغ بين العمائر العالية

فيمكنهم أن يجعلوا أسفله حوانيت تؤجر لصالح المسجد، وفوقها مدرسة، وفوق ذلك المسجد، وفوقه مكاتب ومرافق له، ثم سكن لمسلمين ملتزمين، وقد أخبرنا أهل المنطقة أن الشقة الواحدة هنا في الأبنية المطلة عليه تباع بمليون دولار هونكنقي، وذلك يعادل خمسمائة ألف ريال سعودي.

ويقع إلى الشرق منه بيت مؤلف من ثلاث طبقات، وقد تواضع أمام الأبنية العالية بجانبه، وذكروا أنه مبني مع بناء المسجد، وأنه لضيافة المسلمين أو(مسافر خانه) كما يدعونه،

ومثله تكون إدارة المسجد أو الجمعية المشرفة عليه مسؤولة عنه، . وقد لاحظت أن الإخوة المسلمين من أصل هندي يصنعون مثل ذلك في المساجد التي بنوها في مهاجرهم الإفريقية.

وأذكر أنني عند أول زيارة لي إلى (مالاوي) في شرق إفريقية الجنوبي عام ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م لم أجد أنا وصاحب كان معي مكاناً في فندق، فأنزلنا الإخوة في غرف الضيافة الملحقة بالمسجد، وذكروا أن النظام عندهم أن الضيافة مدتها ثلاثة أيام، فقط اليوم الأول يكون بطعام يرسل للضيوف من أحد بيوت المسلمين، أو من أكثر من بيت من بيوتهم، حسب كثرة الضيوف وقلتهم، واليومان التاليان بدون طعام، وبعد ذلك يجب على الضيف أن يخرج أو أن يدفع أجرة للجهة المسؤولة في المسجد، تصرف مصارف المسجد ويستفاد منها في هذا الأمر.

لقد عجبت من اختيارهم لهذا المكان لبناء المسجد، وهو منطقة جبلية، فذكروا أن ذلك لكون كثير من المسلمين كانوا يسكنون في هذه المنطقة، وهي غير بعيدة من الميناء، وإن كان الأمر فيها يحتاج إلى صعود، وكانت البيوت فيها في السابق تبنى منفردة، وليست أبنية متعددة الطوابق (عمارات) كما هي عليه الآن.

ويوضح كونه في جانب الجبل أنه تقع إلى الشرق منه هاوية

بمعنى أنه يلي سوره الذي بنوه مرتفعاً هاوية غير بعيدة المهوى، ولكنها منخفضة جداً بالنسبة إليه.

والذي يراه ويرى هذه المنطقة الجبلية المزدحمة يعجب من (هونج كونغ) كيف ازدهرت في القديم وهي ضيقة الرقعة إلى هذه الدرجة التي حملت أهلها على السكنى في الجبال العالية يوم أن لم تكن التسهيلات الحاضرة موجودة كالدرجات الكهربائية المتحركة، وحتى سيارات الأجرة والحافلات، ومن الطريف أنهم وصفوا موقع المسجد بأنه في وسط هونغ كونغ، مع أنه في هذا الموقع الصعب من الجبل، ولكن المدينة كانت هكذا في القديم كما ذكروه، وذكروا أيضاً أنهم كانوا يشاهدون البحر من المسجد، أما الآن فإن الأبنية العالية قد حجبته عنهم.

بعد الفراغ من رؤية المسجد، وعدم إعجابنا بالأشخاص الذين رأيناهم فيه وحوله الذين لم يكونوا يرغبون الناس في زيارته، ولا يلتمسون أن يسمعوهم شيئاً عن الإسلام لعل الله يهديهم فيسلموا، أو على الأقل يزيل ما بنفوسهم عن الإسلام من شبهات، أو أكاذيب لفقها أعداء الإسلام، صعدنا من عند المسجد ذاهبين إلى شارع معترض يقع إلى الجنوب منه، نلتمس سيارة أجرة، فوجدناه شارعاً متوسطاً يتسع لسيارة واقفة وسيارة سائرة، وفوجئنا بأن اسمه مكتوب عليه شارع المسجد (مسجد استريت)، فقلنا هذا أيضاً يدل على أهمية المسجد في المنطقة، ولكن يحب

أن يكـون فيـه مـن يحسـن أن يتعـامل مـع غـير المسـلمين إذا أرادوا زيارته والاطلاع على ما عند المسلمين.

أمـا النـاس في هـذه الأحيـاء فإنـهم الشـعب الصيـني الأصيـل الذي منهم من تعرف ومن تنكر، فمن كان منـهم حديث الوصول إلى هونـغ كونـغ فإنـه يبـين عليـه عـدم الوجاهـة، وكذلـك عـدم الثراء، وعدم أثار النعمة، وعكسه من كان منهم قديماً في (هونـغ كونـغ) إلا أن القديـم مـهما كانت درجـة قدمـه واضـح أنـه صيـني أصيل، لم يتغير من ذلك شيء من ملامحه أو حتى لونه.

وقلـت لـلأخ علـي (تينـغ) ونحـن نغـادر هـذه المنطقـة المرتفعـة، المزدحمة من هونغ كونـغ: إن الـذي لم يـر هـذه المنطقـة لم يـر هـونـغ كونـغ.

ولاحظت هنا ما لاحظته في كولون من كثرة أجهزة الهـاتف الجـوال عندهـم، حتـى النسـاء تجدهـن يسـرن في الشـوارع وهـن يتكلمـن بـه، وإذا رأيـت الواحـد أو الواحـدة ممـن يحملـون الهـاتف الجوال دون أن ترى الهاتف نفسه يخيل إليك أن الواحد منـهم يكلم نفسه، وأنه يتكلم في الفراغ.

زهور البحر:

ركبنـا سـيارة الأجـرة لتنقلنـا إلى مينـاء السـفن الـتي يجتـاز الناس عليها البحر بين هونغ كونغ وكولون، وكنت سمعت معنى

اسم (هونغ كونغ) الغريب هذا وأنسيته، فسألت عنه الأخ علي تينغ، وهو صيني أصيل، فذكر أن معنى اسمها هو: (زهور البحر) بالصينية.

قال: والمراد بذلك: زهور شاطئ البحر، فقلت: إذا كان الأمر كذلك فإن هذا من تسمية الشيء بنقيضه في الوقت الحالي، لأن شاطئ هونغ كونغ ليس فيه الآن إلا فضلات الشوارع التي تكافحها البلدية فتحافظ على نظافته.

هذا وقد لاحظت في هونغ كونغ نفسها أي في الجزيرة التي اسمها في الأصل (هونغ كونغ) أن اللافتات قد أصبحت كلها أو كادت تكون باللغة الصينية، بعدما كانت باللغة الإنكليزية التي هي الأولى ومعها الصينية، وأكثرها ذات ألوان فاقعة، بل صارخة على عادة الصينيين في محبتهم لمثل تلك الألوان الصارخة في الإعلان والحفلات ونحو ذلك.

العودة إلى كولون:

ولا بد من أن نتذكر أيضاً معنى اسم (كولون)، وهو مثل هونغ كونغ اسم صيني، وليس إنكليزياً استعمارياً، ومعناه: التنانين التسعة، لأن كول هو(٩)، ولون: تنين.

وللتنين مقام عظيم في الثقافة الصينية، وفي خرافاتهم القديمة.

ونحن قلنا: إنه التنين نريد بذلك في اصطلاحهم ولغتهم، وإلا. فإن التنين في لغتنا العربية غير ذلك، وإن كان لا يبعد عنه.

فالتنين عندنا هو الحية العظيمة، أما في الصين فإنه حيوان خرافي شبيه بالحية العظيمة، إلا أن له سبعة رؤوس.

وقد سرنا على الأقدام لفترة طويلة قبل الوصول إلى الباخرة، تخلل ذلك سير من الدرج المتحرك مما جعل هونغ كونغ بحق مدينة الدرجات المتحركة، مثلما أن مكة المكرمة هي بحق مدينة الأنفاق، لكثرة الأنفاق المنحوتة في جبالها.

تحركت الباخرة في الرابعة إلا عشر دقائق قاصدة (كولون)، ومن ميناء السفن الناقلة أو العبارات انطلقنا بحافلة إلى حيث قلب المنطقة التجارية في كولون، فمررنا بالشركة التجارية التي تعمل فيه أختنا المسلمة، فذكرت أنها لم تجد بعد البحث الطويل أي طيران مباشر إلى (دبي) من هونغ كونغ، وليس معنى ذلك أنه لا توجد رحلات من هونغ كونغ إلى (دبي)، بل هي موجودة ومتعددة، ولكن لا توجد أماكن خالية على أي منها.

لذلك عزمنا على سلوك الطريق غير المباشر من هونغ كونغ إلى مطار بانكوك، ومنه إلى دبي بعد تغيير الطائرة والشركة.

وعندما عدت من هذه التمشية المتعبة، وكنت أمني النفس باستراحة في الفندق، ناداني الموظف في مكتب الاستقبال في

الفندق وقال: رصيدك عندنا لا يكفي لمبيتك الليلة، لأنني دفعت البارحة ما يكفي لليلة وشيء، ولم يرضَ إلا بأن أدفع له ذلك الآن أي مقدماً.

وقد دفعت ذلك صكات (شيكات سياحية) متعجباً من عدم مجاملتهم لشخص بات عندهم ليلتين، واطلعوا على جوازه، وذكرت كثيراً من البلدان التي لا تطلب من النزيل أن يدفع الأجرة مقدماً، وإن كان بعضهم يسأل عما إذا كان الدفع بالنقد أم ببطاقة التأمين، وفضلت أن أدفع لهم بالشيكات السياحية لكوني لا آمن أن يغالطوني إذا دفعت بالبطاقة، فأنا لست من الذين يحسنون الحساب، ولست لدي خبرة بالأمور المالية.

السفر إلى ماكاو



يوم الجمعة ٢٠/٧/١٤٢٠هـ

الذهاب إلى ماكاو

والتعبير عن ذلك بالذهاب لقربها من هونغ كونغ، ويمكن التعبير عنه بالسفر، لكونه أطول من مسافة قصر الصلاة في السفر، فهو يستغرق ساعة كاملة في السفينة حسبما أخبروني، وإن كان نقص بضع دقائق كما سيأتي.

مرَّ عليَّ الأخ النبيل (علي تينغ) حسب موعد محدد من البارحة في التاسعة والنصف، فاخترقنا الحي التجاري في قلب كولون، حتى وصلنا إلى محطة القطارات الكهربائية التي تسير تحت الأرض، وتسمى بالمترو، وهي قريبة من فندقنا.

فنزلنا مع درج كهربائي متحرك إلى ما تحت مستوى الشوارع، ووصلنا إلى محطة القطارات حيث أول ما فيها الآلات التي تبيع التذاكر بهذه القطارات آلياً، بمعنى أنك تدخل النقد في الثقب المخصص للجهة التي تذهب إليها، والغالب أنها جهة واحدة، تقع لك من الآلة تذكرة مع بقية ما دفعته بالنقود، إن كنت أدخلت فيها نقوداً أكثر مما تحتاجها تذكرتك.

الآلي الطريف:

ليس في الآلات طرافة، لأنه لا عقل لها ولا تصرف، ولكن

في فعل الذين صنعوها وجعلوها كذلك الطرافة كل الطرافة، فهذه التذكرة التي اشتريتها آلياً تستطيع أن تشفع لك في دخول محطة انطلاق القطار، بمعنى موقفه الذي تركب منه.

ذلك بأنك لا تستطيع أن تدخل إلى حيث القطارات إلاّ من حاجز حديدي لا يسمح لك بالدخول، وإلاّ إذا أدخلت في ثقب منه تذكرتك التي قطعتها، فإذا فعلت ذلك فتح لك نفسه وقذف لك بالتذكرة مرة أخرى، لأنك ستحتاج إليها فيما بعد.

وقفنا عند موقف القطار تحت الأرض، فرأيت الناس في جمهور هائل مزدحم، قال الأخ علي تينغ: إن ذلك بسبب الوقت، فهذا هو موعد التحاقهم بمكاتب العمل.

والنساء في هذا المكان من الكثرة مثل الرجال أو أكثر، أخذاً من كون النساء يعملن مثلما يعمل الرجال، وسيركب كل ذلك الجمع الذي ازدحمت أبواب الدخول إلى القطار الكهربائي به على طول ذلك القطار الذي لا يكاد المرء يبصر طرفه، حتى ولو كان في وسطه، ونحن لم نستطع ذلك بالفعل، لأن مسيره المنخفض بالنسبة إلى الأرض التي نحن واقفون عليها متعرج.

وبمناسبة انخفاضه كنت أحدث نفسي فأقول: ماذا لو تدافع الناس لسبب من الأسباب قبيل وصوله، فوقعوا في مجراه فوق القضبان، وذلك المجرى منخفض بحيث لا يستطيع من يقع فيه

أن يقفز منه إلى موقف الركاب إلا إذا ساعده أحد؟

لا شك أن ذلك لو حدث سيكون كارثة محققة، لأن القطار سريع وطويل، لا يستطيع الوقوف بسرعة إلا إذا بدأ بتهدئة سرعته قبل ذلك بوقت.

ولكن الناس رغم كثرتهم وخوف بعضهم من فوات الوقت كانوا على غاية من التهذيب، وعدم التسارع أو التشاحن في الدخول إلى القطار أو الخروج منه.

ولم نجد مثل أكثر الراكبين أي مقعد خالٍ فيه، فوقفنا مع الواقفين فيه الذين كانوا أكثر من القاعدين في مقاعده.

وعندما وصلنا إلى هدفنا المنشود، ووقف القطار نزلنا فأسرعنا إلى الصعود إلى درج كهربائي متحرك، ووجدنا فيه حاجزاً حديدياً أدخلنا فيه تذاكرنا، فسمح لنا بالخروج، ولكنه لم يسلمنا تلك التذاكر، فلم يقذفها كما فعل في المرة الأولى، لأن صلاحيتها انتهت عند هذا الحد.

وقد ظللنا نسير على الأقدام أيضاً حتى وصلنا الميناء، فكان أول ما فيه بيع التذاكر الذي كان يبيعها موظفون بصفة معتادة، وليست آلية.

ثم مررنا بضباط الجوازات الذين رأوا جوازي سعودياً دبلوماسياً فأسرعوا بوضع خاتم الخروج عليه، مع أنني محتاج

دبلوماسياً فأسرعوا بوضع خاتم الخروج عليه، مع أنني محتاج للرجوع إلى هونغ كونغ مساء اليوم، لأن أمتعتي وأغراضي في الفندق، ولكن الأخ علي قال: إنهم لا يمانعون في الدخول.

وهذا هو الذي فهمت من عدم ممانعتهم في الدخول في المطار بدون سمة دخول، لأن مواطني الدول الخليجية لا يحتاجون إلى الحصول على سمة دخول مسبقة، بل لا يحتاجون إلى سمة دخول أصلاً، لأن ضابط الجوازات في المطار وضع ختمه صغيراً مدوراً بالدخول، ولم يكتب سمة معتادة في الجواز.

وقد دفعنا أجرة السفينة ٧٥ دولاراً هونكقياً للشخص الواحد، ويساوي ذلك ٣٧ريالاً سعودياً.

وهذه قيمة التذكرة بالدرجة السياحية، وكنت طلبت منه أن نركب معاً بالدرجة الأولى، فذكر أنها أغلى، وأن الفرق بينهما يسير، وتبين أن الأمر كذلك، إذ السياحة في الأسفل والأولى في الأعلى، والسياحية مغلقة في مقدمة السفينة، فلا يرى المرء الطريق أمامه، بخلاف الأولى التي هي في الأعلى.

من هونغ كونغ إلى ماكاو:

انتظرنا قليلاً على مقاعد في قاعة المغادرة للسفينة، لأنها لم تكن وصلت من (ماكاو) بعد، فهي تتردد في هذا الطريق جيئة وذهاباً.

وبعد خمس دقائق من الانتظار جاءت الباخرة، فأرست أمام القاعة، ووقف عند بابها بعض ملاحيها، والناس يدخلون فيها وهي تميد وتتمايل عند الميناء، ولا أدري سبب ذلك، فالسفينة التي ركبنا فيها إلى جزيرة هونغ كونغ لم تكن تفعل مثل ذلك، وربما كان مرجع ذلك إلى كونها تسير في مياه الخور، وهو الخليج، وهذه قد أرست على المياه البحرية مباشرة.

ولذلك وجدناهم وضعوا في مقاعدها أحزمة كالأحزمة التي تكون في مقاعد الطائرة، كما وجدنا مقاعد الركاب مرقمة مثل مقاعد الطائرة.

واستعرضت الركاب الذين معنا في الدرجة السياحية، فرأيت أنهم الصينيون الذين اعتدنا أن نراهم في هونغ كونغ، وليس معهم جنس آخر يستحق الذكر.

وأكثر ما يميز الصينيين مع ما ذكرته سابقاً من المظاهر الخَلْقية - بفتح الخاء - المميزة عبوس ظاهر فيهم، فقلما تجد منهم من يبتسم، فضلاً عن أن يضحك، حتى الرجل الذي يتكلم مع امرأة، وهذا قليل فيهم، فإنك لا تراه يبتسم وهو يكلمها.

وذلك أن أكثرهم ليست لديهم مشاعر دينية إيمانية، إضافة إلى أن أكثرهم يعملون عملاً مرهقاً في المكاتب وفي الشركات والمؤسسات الاقتصادية، حتى قال أحد الذين زاروها

من الإنكليز: إن هونغ كونغ تكاد تكون كلها مكتباً واحداً. وقال أحدهم: (هونغ كونغ) مكتب العالم كله.

هكذا جعلها الإنكليز، والسؤال الآن: هل يستطيع الصينيون أن يجعلوها تستمر كذلك؟

إننا إذا نظرنا إلى ما فعله أبناء عمومتهم في جزيرة تايوان، وهي صارت - وهي الضيقة الرقعة المحدودة الموارد - تتمتع باقتصاد قوي، إلى درجة أن الميزان التجاري بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية كان في صالحها، وليس في صالح أمريكا، وإذا نظرنا إلى ما فعله أبناء عمومتهم الآخرون بسنغافورة، تلك الجزيرة الصغيرة التي لم تكن تجد كفايتها حتى من الماء، وقد أصبحت مثالاً يحتذى الآن، فإننا نستطيع القول بأن الصينيين قد يحافظون على (هونغ كونغ) كما تركها الإنكليز، وقد يطورونها أكثر من ذلك، والله أعلم.

سارت السفينة وهي لا تزال تتمايل في سيرها، وقد ربطنا أحزمة مقاعدنا.

والأجمل فيها أن التدخين ممنوع فيها طوال الرحلة.

صفرة الصينيين:

حيكت قصص وطرف، وقيلت أقوال بعضها له أصل من

الحقيقة، وبعضها نابع من الوهم، وهو أن الجنس الصيني جنس أصفر، وأن الصفرة فيه أصيلة لا يمكن أن تفارقه.

ومن الحكايات حول هذا الأمر ما روي أن أحد الأطباء الأوروبيين أخذ يعالج شخصاً عنده لمدة طويلة من صفرة فيه، ثم تبين له بعد ذلك أنه صيني، وأن صفرته تلك ليست من مرض.

ولا يلاحظ الغريب صفرة الصينيين إلا إذا نسبهم إلى الأوروبيين أو غيرهم من البيض في البلدان الأوروبية وما أشبهها، ولذلك أسماهم الأوروبيين بالصفر، لأن ذلك بالنسبة إليهم، وإلا فإن فيهم السمر والبيض.

إلا أن بياضهم يميل إلى الصفرة لا إلى الشقرة، وقد تخيلت في وقت من الأوقات أن ذلك ربما كان راجعاً لإكثارهم من شرب الشاي، لأن المعروف أن الشاي إذا شرب بعد الطعام مباشرة فإنه يمنع الأمعاء من أن تمتص الحديد الموجود في الغذاء، فإذا فرض أن ذلك تكرر فإن النقص في الحديد يبدو صفرة على بدن الإنسان.

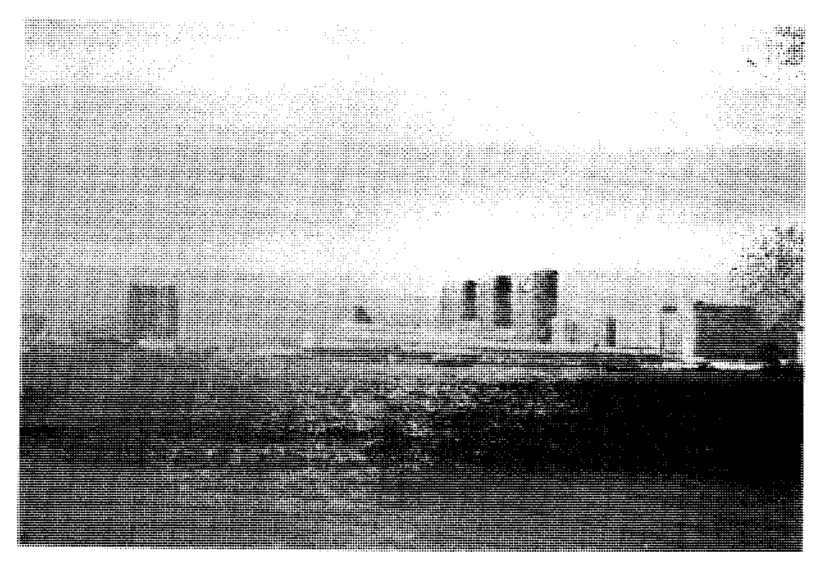
ولكن هذا الزعم لا بد للتأكد منه من تحاليل دماء عينات كبيرة من الصينيين لمعرفة ما إذا كانوا يشكون من نقص في الحديد في أجسامهم.

والشي الواضح أن أجسام الصينيين هنا رشيقة، وتقاطيع الأجسام عندهم لطيفة، إلا أن تقاسيم الوجوه ليست كذلك.

لذلك يمكن القول بأن الجمال ظاهر فيهم ما عدا وجوههم.

هذا وكان إعلان الباخرة باللغة الصينية تليها الإنكليزية.

ووجدت الأخ (علي تينغ) قد غفل عند شراء التذكرة عما كنت أريده، ولم أذكره له، وهو أن يكون مقعدي عند النافذة حتى أرقب البحر، وأصور منها ما أريد تصويره، وقد سارع الأخ علي إلى راكبين غير بعيدين منا. كان أحدهما يجلس على النافذة والأخر بجانبه، فكلمهما بالصينية بما معناه أن يسمحا لنا بالجلوس مكانهما، فلم يفعلا، ولم يكثر عليهما لأنني منعته من ذلك.



هونغ كونغ من البحر

عندما لججت السفينة في البحر ثبتت فيه وقل اضطرابها، وقد ظلت جبال هونغ كونغ العالية والأبنية المرتفعة فيها تسايرنا لفترة انقطعت الأبنية بعدها، وبقيت الجبال تماشينا.

وبعد فترة أبعدنا عن جبال هونغ كونغ العالية الخضر، وصارت جبال قصيرة قليلة الخضرة تسايرنا أيضاً، وهي تابعة (لهونغ كونغ).

ثم تنحت الجبال على حد تعبير بعض الأدباء القدماء، ولججنا في البحر الذي لا يرى المرء فيه غير السماء والماء.

إلا أن ذلك لم يتصل.

هذه ماكاو:

بعد أن أمضت السفينة ٥٣ دقيقة من السير رأينا جسراً طويلاً عجبنا من كونه يوجد في مثل (ماكاو) الصغيرة، وقال لنا قائلون: إنه يذهب من (ماكاو) الرئيسية إلى الجزيرة التي تتبعها، وأنهم جعلوه هكذا لضيق اليابسة عندهم.

و(ما كاو) قطعة صغيرة من الأرض الصينية الكبيرة، وليست جزيرة مثل هونغ كونغ.

وقد تملكتها البرتغال منذ ٤٤٢ عاماً، وسوف تعود للصين في ١٩من شهر كانون الأول (ديسمبر) القادم أي في٢٠/١٢/١٩٩٩م.

وقد ذكرت الصحف الصينية أمس أن (الجيش الصيني) سيدخل ماكاو الإثنين ظهراً بعد ١٢ ساعة على رحيل آخر المسؤولين البرتغاليين من هذه المنطقة.

وقالت صحيفة «تشاينا ديلي» إن أكثر من ٢٠ ألف شخص من ماكاو «طلبوا» استقبال الجيش الصيني، ويستعدون للتلويح بالأعلام وباقات الزهور لدى مرور الجنود.

وستعاد ماكاو عند منتصف الليل في حفلة سيحضرها الرئيس الصيني جيانغ زيمين ونظيره البرتغالي خورخي سامبايو.

وكانت البرتغال طلبت من الصين تأخير موعد وصول الجيش ١٢ ساعة مراعاة للمسؤولين البرتغاليين.

وحذرت الصين من أن الجنود المنتشرين في المكان والمقدر عددهم بنحو ألف قد يضطرون للتدخل لفرض الأمن في هذه المنطقة التي شهدت في السنوات الأخيرة حرب عصابات مرتبطة بالسيطرة على نوادي القمار.

وأشارت «تشاينا ديلي» إلى أن «كثيرين من الناس يعتقدون أن حضور الجيش الصيني سيطمئن سكان ماكاو».

يذكر أن الجيش الصيني لم يدخل أثناء عودة هونغ كونغ إلى الصين في الأول من تموز (يوليو) ١٩٩٧ إلا فجراً إلى المستعمرة البريطانية السابقة، أي بعد ساعات قليلة على رحيل آخر ممثلي

بريطانيا.

بدت الجزيرة التي تتبع ماكاو واضحة لأن السفينة التي كانت مولية وجهها شطرها قد انحرفت إلى اليسار، فاتضحت لنا (ماكاو) دون (هونغ كونغ) في كل شيء من الأبنية العالية إلى منشآت الميناء، إلى العناية بالمرافق العامة، حتى لون المياه بدا لنا أنه أقل نظافة من مياه خليج (هونغ كونغ).

ونظراً إلى أن (ماكاو) مستعمرة برتغالية، فقد توقعت أن أرى فيها برتغاليين أتحدث إليهم بما عرفته من اللغة البرتغالية عندما كنت في البرازيل، ولكن الأمر لم يكن كذلك، إذْ كان الذين استقبلوا السفينة كلهم من الصينيين الذين هم أقل في وجاهة المظهر من صينيي أهل هونغ كونغ.

وخُيِّل إليَّ أنهم ربما كانوا من العمال، ولكنني عندما وصلت إلى مكاتب الجوازات وجدت الأمر مثل ذلك، وكان مكتب للجوازات يقع يميناً من المكاتب المعْتادة، عليه ضابط مختص يمنح أذون الدخول لغير أهل (هونغ كونغ) الذين يدخلون (ماكاو) بالبطاقة من دون الحصول على جواز، مثلما يفعل أهل (ماكاو) عندما يذهبون إلى (هونغ كونغ)، فسارع الأخ (علي تينغ) يقول: إنه من السعودية وأنا أقدم جوازي، فقال الضابط: يجب أن يدفع مائة دولار، يريد من دولارات (هونغ كونغ)، ولو دفعها المرء

من عملتهم وليست بالدولار، ولا اسمها من أسماء النقود البرتغالية كالأسكودا، فإن ذلك يكفي، لأن الفرق بين العملتين في الصرف طفيف جداً.

فقلت له: إن جوازي دبلوماسي، فلما رآه ختم عليه دون أن أدفع شيئاً.

ودخلنا مع الداخلين الكثر إلى (ماكاو)، ولم يكن الطريق طويلاً من المرسى إلى الشارع العام كما في (هونغ كونغ).

ركبنا مع سيارة أجرة إلى داخل المدينة مهتدين بعنوان مطعم كان الأخ (علي) قد أخذه من أحدهم، ذكر أنه مطعم جيد في طبخ سمك يقال له (سمك القط) أو (قط السمك): (كات فيش)، وذكرت أن هذا السمك يباع عندنا في الرياض، حيث تصطاده شركة الأسماك السعودية، أو تشتريه ممن يصطادونه، ولكنه لا يعتبر عندنا من السمك الجيد، ربما لكون الناس لا يعرفونه ولا يعرفون كيف يصنع منه الطعام.

بدت لنا المدينة مزدهرة لكثرة الحوانيت وتلاصقها، ووفرة السلع فيها.

وبدت كما لو كانت عاصمة لدولة أوروبية صغيرة، مع أن (ماكاو) أقل وأضيق من أن تكون كذلك، ولكنها سوق للصين المجاورة وغيرها من البلدان التي لا تتوفر فيها الأسواق الحرة،

مثلها في ذلك مثل هونغ كونغ.

دخلنا المطعم مبكرين، ولكننا حريصون على ذلك من أجل أن ندرك صلاة الجمعة مع المسلمين بعد الغداء، لأننا لم نكن قد أفطرنا من قبل.

كان المطعم متوسط الأثاث والخدمة، وفيه تكييف قوي، طلبت منهم أن يجلسونا على مائدة بعيدة عن مجرى الهواء البارد.

أحضروا الطعام سمكاً نزراً غير جيد النوع، ولا وافر الكم، سألتهم عن اسمه فذكروا أنه يسمى كات فيش، ومعناها :قط السمك، وعرفت أنه الذي يسمى عندنا قرموط، ويعتبر من أردأ الأنواع، إذْ يباع في الرياض بسبعة ريالات للكيلو، على حين أن السمك الجيد كالكنعد والهامور بعشرين ريالاً، وليس معه إلا عود من الخضرة المطبوخة، وبيضة واحدة، ولك أن تتصور بيضاً يكون مع السمك إذا كان أحدهما يسبب لك الحساسية مثلما أن اللبن مع السمك يسبب الحساسية لبعض الناس، كما جاء في الأمثال القديمة: ((لا تأكل السمك وتشرب اللبن)).

وقد انتشر هذا المثل لأنه صار شاهداً من الشواهد النحوية على فتح الباء في الفعل المضارع.

ومرجع ذلك إلى أن السمك يسبب الحساسية لبعض الناس، واللبن كذلك، فإذا فرض أن شخصاً يتحسس منهما معاً وشرب

اللبن مع السمك، فإنه يصاب من ذلك بأذى عظيم، وقد عرفنا شواهد لذلك عديدة في أشخاص نقلوا إلى المستشفيات بسبب ذلك.

أما إذا كان الشخص لا يتحسس من أحدهما، فإنه لا يحس بأي شيء من شرب اللبن مع أكل السمك.

وقد جاؤوا مع السمك بقطعة من البطاطس مسلوقة في حجم البيضة، وخبزة في مثل ذلك المقدار.

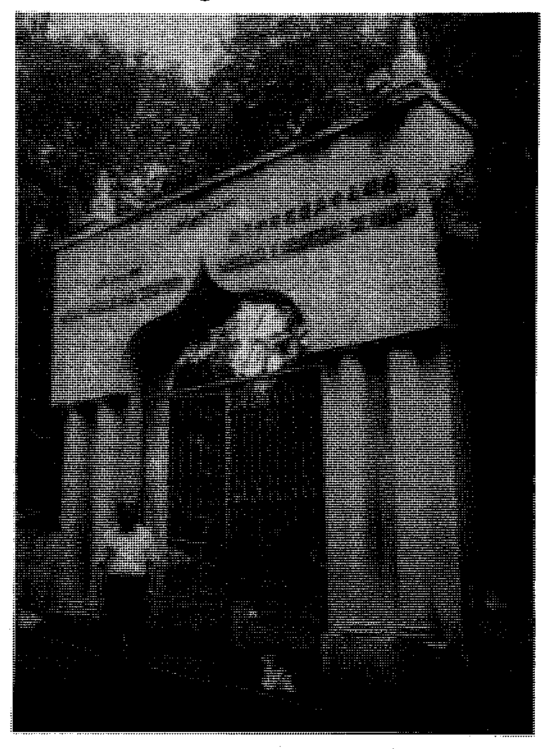
وكان هذا الطعام قليلاً غير جيد، ومع ذلك طلبوا ثمناً له ٢٠٧ دولاراً هنكويقياً، أي مائة وثلاثة ريالات سعودية للشخصين، ولو كان في بلادنا لما قدموه بهذه القلة، ومع زيادته على ذلك، فإن ثمنه لن يجاوز عشرين ريالاً للاثنين، ولا أدري أذلك هو مستوى الأسعار عندهم، أم عرف أننا أجانب وزاد علينا في السعر ؟.

إلى مسجد ماكاو :

ولو قلنا إلى جامع ماكاو لكان ذلك صحيحاً، وذلك لكونه مسجداً صغيراً لا يستحق مثله في بلادنا أن يسمى جامعاً، ولكنه تقام فيه الجمعة، لذلك أستحق تلك التسمية.

ذهبنا إليه مع سيارة أجرة في الساعة الثانية والربع، فوجدناه في منطقة جيدة من المدينة، يقع على شاطئ بحيرة عذبة لأن ماءها يأتي من الصين المجاورة، وإن كانت تبدو في عين الناظر كما لو

كانت متصلة بالبحر، فذلك غير صحيح.



البوابة الخارجية لمسجد ماكاو

أوقف السائق سيارته عند الباب الخارجي للمسجد، فإذا به من الداخل أرض واسعة مشجرة بأشجار عالية، وإن لم تكن متشابكة، وعلى بابه الخارجي بالعربية (بسم الله الرحمن الرحيم).

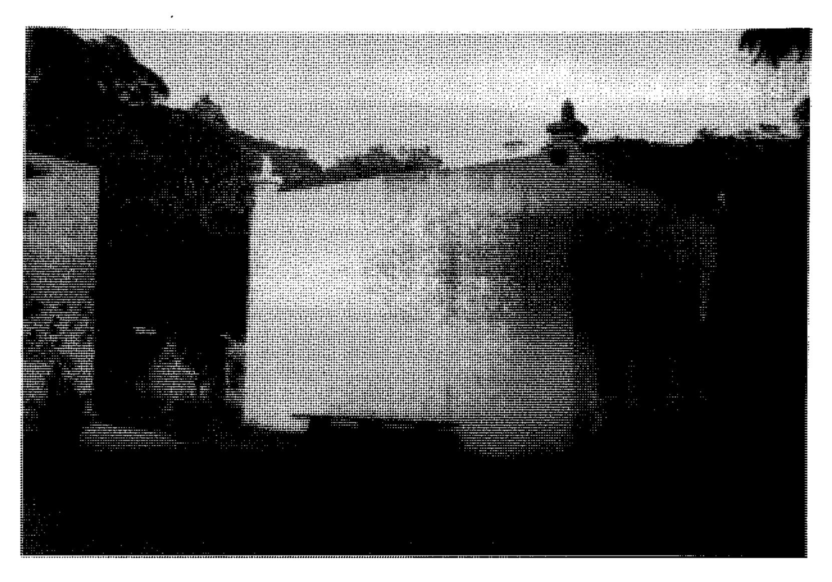
تحتها: (مسجد ومقابر ماكاو).

وتحت ذلك مثله بالصينية، كما أخبرني الأخ (علي تينغ).

دخلنا مع البوابة الخارجية، فنزلنا إليه مع الدرج، وذلك أن مستوى الشارع أعلى منه، لأن طبيعة الأرض هنا أنها غير مستوية.

ورأينا المسجد في مكان مرتفع من الأرض، وهو أشبه بالحجرة الواحدة الواسعة، ليست له قبة ولا منارة.

وحوله مقاعد كثيرة تحت الأشجار الكبيرة التي تقع على شاطئ البحيرة الجميلة، ورأينا عدداً قليلاً من المسلمين قد سبقونا إلى المسجد، ولكنهم لم يدخلوه، وإنما جلسوا على مقاعد حول موائد رخامية تحت الأشجار، يتحدثون في مجموعات صغيرة.



منظر جانبي لمسجد ماكاو

مقابر ماكاو:

لم يكن عدد المسلمين في ماكاو كبيراً رغم قدم وجودهم فيها، ولذلك كانت قبورهم كلها هنا منذ مدة ليست بالقصيرة.

ونظراً لامتداد الوقت، فقد تجولنا في المقابر قبل الصلاة، مع العلم بأنها كلها تقع إلى جهة الشرق من المسجد.

وهي المغايرة لقبلته، فليس في قبلة المسجد من القبور شيء، وإنما خلفه بمسافة فاصلة بينهما، ليست واسعة.

والقبور كلها غير مرفوعة عن الأرض، فبعضها وهو القليل مرفوع عن الأرض بمقدار شبر، وأكثرها على مستوى الأرض إلا أنهم أحاطوا القبر بما يشبه الجدار الصغير الذي لا يرتفع إلى أكثر من شبر، ووضعوا فيه التراب ولكنها كلها إلا عدداً قليلاً جداً عليها شواهد، وهي الحجارة المنصوبة على القبر، وتلك الشواهد أكثرها من الرخام المعتنى به، وبعضها من الأحجار المعتادة.

وكلها عليها الكتابة وشعار المسلمين العالمي الذي هو الهلال في وسطه نجمة.

ولا يوجد منها شيء ليس عليه كتابة بالعربية، إلا أنها تزيد وتنقص، فالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) تكاد تكون موجودة

بالعربية على كل القبور.

وتحتها آية قرآنية مثل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أو جملة مشهورة مثل (هو الدائم)، وتحت ذلك تكون الكتابة الرئيسية أغلب ما تكون بالإنكليزية أو الصينية أو العربية أو الأوردية حسب حالة الشخص المتوفى، إلا أن الكتابة بالعربية قليلة بالنسبة إلى الكتابة باللغات الأخرى.

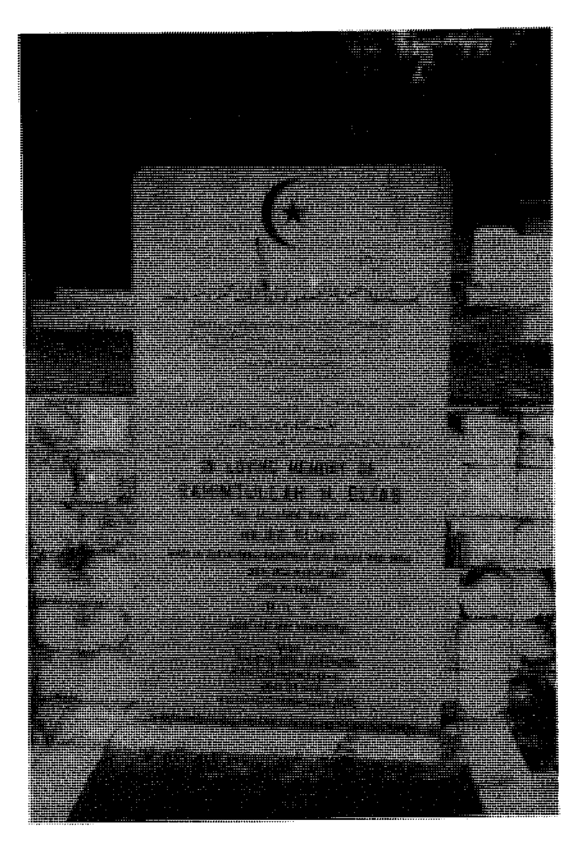
ومن اللافت للنظر أنه لا توجد كتابة باللغة البرتغالية التي هي لغة المستعمرين للبلدة، مما يدل على أن الصلة ما بينهم وبين المواطنين فيها ليست قوية، أو أنهم كانوا من القلة إلى درجة لم يؤثروا فيها على الناس حتى يتكلموا بالبرتغالية.

ومن الملاحظ في أكثرها أن الشاهد الحجري أو الرخامي الذي يكون عند رأس الميت يكون مرتفعاً، والذي يكون عند رجليه يكون أقل ارتفاعاً.

وبعض القبور كتبوا على شواهدها الشهادتين بالعربية (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ومثال على الكتابة على بعضها هذه الكتابة بالعربية:

(باغو نور محمد) ولد ١٨٨٠ وتوفي ١٩٧٥.



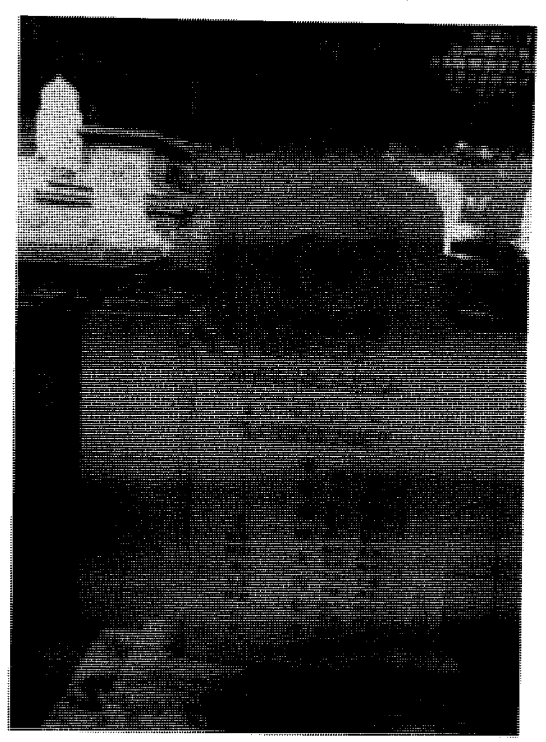
شاهد على أحد القبور في مقبرة ماكاو

وبعضها عليه: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾.

وأخرى: (هو الحي الذي لا يموت) كل ذلك بالعربية.

ورأيت قبراً من القبور معتنى به من حيث كثرة الكتابة العربية، وعرفت السر في ذلك، وهو كونه إمام هذا المسجد واسمه (عبدالله لو) وهذا نص الكتابة عليه:

رسموا أولاً فوق أعلى الشاهد رسم الهلال والنجمة: ثم الآية الكريمة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ هذا علاَّمة عبد الله لو إمام مسجد ماقو. نوَّر الله قبره ١٩٦٣ في ٢٣/١٠.



شاهد أحد القبور في مقبرة المسلمين في ماكاو

وتحت ذلك كتابة باللغة الصينية على هيئة سلسلة، وهي التي تكون الكتابة فيها من الأعلى إلى الأسفل أو بالعكس، وليس من اليمين إلى اليسار كما هو عندنا، أو من اليسار إلى اليمين كما في اللغات الأوروبية.

ويلاحظ هنا أنهم كتبوا المنطقة (ماقو)، والمشهور من كتابتها بالعربية (ماكاو)، وهو الذي سمعته شخصياً وشفهياً من المقيمين فيها، وهو المطابق لكتابتها باللغة الإنكليزية.

وبعض القبور عليها الكتابة باللغة الأوردية، ولكن لا بد عندهم من أن يكون فوق ذلك رسم الهلال والنجمة والبسملة والشهادتان أو إحداهما.

ورأيت بعض القبور وهي قليلة، ليست عليها شواهد، ذكروا أن سبب ذلك أنها لغرباء وفقراء لا يستطيعون أن يوفروا لها الشواهد الحجرية أو الرخامية.

وبعضها عليها رقم فقط، كأن ذلك ليكون عنواناً للسجل الذي سجل موته فيه.

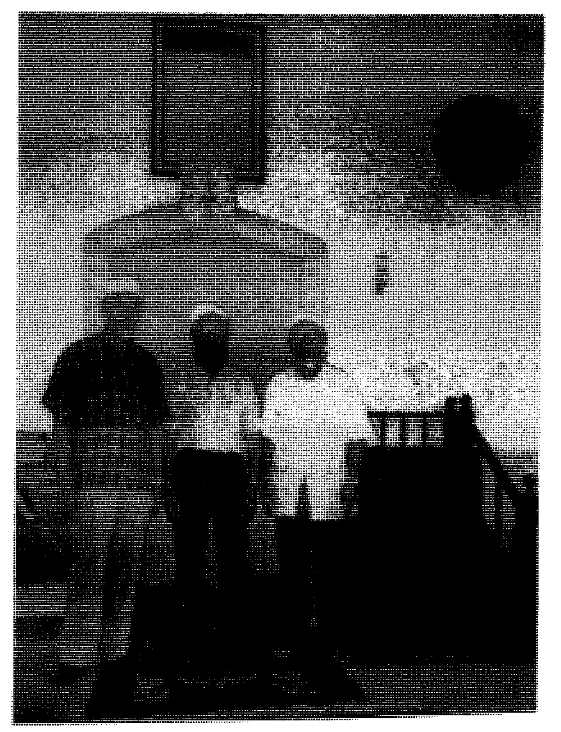
والمقبرة نظيفة جداً، وربما كان ذلك لكون موضعها مثل المسجد مرتفعاً، لا تستقر فيه الأوساخ المتحركة ولا النفايات، بل تذهب منه إلى البحيرة المجاورة.

وكنت أرى القبور غير البعيدة من المسجد، فصرت أتحيل

ما إذا كثر المسلمون فأين يدفنون موتاهم؟

وقلت لنفسي:لو تركوا هذا المكان مقابر فقط، وتركوا هذه الغرفة التي هي المسجد الآن لكي يصلى على الجنائز فيها، ثم بحثوا عن أرض مجاورة في البر الصيني المجاور لهم الذي لا يفصل بينهم وبينه فاصل من بحر ولا نهر وهو قريب جداً وبنوا فيه المسجد.

جمعة ما كاو:



في محراب ماكاو بين علي تينغ ومسلم صيني آخر

دخلنا إلى المسجد قبل بعض المسلمين الذين كانوا لا يزالون تحت ظلال الأشجار خارج المسجد، ولكن في الحديقة التي تحيط به إلا من جهة الشمال.

والمسجد غرفة واحدة في حائطها الشمالي والجنوبي نوافذ واسعة تسمح بدخول الهواء الذي هو هنا رطب جيد، وفيه مروحة كهربائية واحدة، خلاف ما عليه الحال في مساجد (هونغ كونغ) حيث توجد فيها مراوح كهربائية عديدة.

وفيه كرسي واحد للعاجز عن الركوع والسجود، على حين أنها متعددة في مساجد هونغ كونغ، إلا أنه هنا كما في هونغ كونغ لها جزء من الأمام يضع عليه الذي لا يستطيع السجود رأسه فيكون بمثابة السجود، وإن لم يكن على الأرض.

وهذا أمثل مما رأيته في مساجد البلدان الشمالية مثل روسيا وسيبيريا وبلاد القوقاز، التي يكون فيها مثل هذا كرسياً مجرداً بسجد الذي يكون فيه في الهواء، يومئ بالسجود إيماء إذا كان لا يستطيع أن يثني ظهره، ولا يجلس عليها إلا من يكون كذلك، أو من لا يستطيع أن يثني رجليه.

ثم دخل إمام المسجد وقد ارتدى ثوباً عربياً كثيابنا، وعلى رأسه قلنسوة (طاقية) مثل التي علينا، وهو الوحيد في المسجد الذي عليه مثل هذا الثوب.

ومن الغريب غير المأخوذ به أن الإمام عندما دخل إلى المسجد قصد المحراب، وصار يصلي السنة في مكان صلاته في الجماعة، فصلى ركعتين، ثم نهض بعدها وصلى ركعتين أُخريين.



في مسجد ماكاو قبل صلاة الجمعة

هذا وقد ظل المصلون يتقاطرون على المسجد الذي رأيته لا يتسع لأكثر من ٤٤ مصلياً، لأنه يتسع لأربعة صفوف في كل صف ١١ رجلاً، ولكن فيه رواق صغير ملحق به من الخلف من دون أن يكون محكم الحيطان، ولا يغلق، يتسع أيضاً لنحو عشرين.

وقد امتلأ المسجد كله والرواق، وأحصيت المصلين فإذا بهم ٦٦ رجلاً وامرأة واحدة، أحد الرجال كان عاجزاً، ولذلك كان

يصلي على الكرسي الذي وصفته.

عندما دخل الإمام كان يتأبط كتاباً مجلداً ليس ضخماً، وضعه وهو يصلي السنة أمامه، ثم صعد المنبر فأذن أحدهم الأذان الأخير وأذانه جيد الأداء.

وبدأ الإمام الخطبة من المجلد الذي كان دخل المسجد وهو تحت إبطه، وهو كتاب مطبوع مسجوع، ولو كان يقرأ ما فيه دون لحن أو غلط لهان الأمر، ولكنه كان يلحن حتى في قراءة الآيات القرآنية، وكان يدغم بعض الحروف، ويخفض صوته في بعض العبارات إذا كان لا يستطيع أن يعرف كيف ينطق بها.

فذكرت بذلك إماماً كان عند بعض الأعراب ممن لا يعرفون القراءة والكتابة، فكان إذا اشتبه عليه شيء من الألفاظ أو العبارات ولم يستطع أن ينطق به على الوجه المطلوب، أدغم بعض كلماته في بعض، وجعل يلحن به صوته، كأنه يريد أن يعوض بتحسين الصوت فيه ما فاته من المعرفة بنطقه.

لحن هذا الإمام في عدة آيات، وكان يمنعني من تنبيهه لذلك أننا في صلاة الجمعة، ولكون الذين يستمعون إليه لا يعرفون العربية ما عدا أخاً عربياً من الكويت سوف يأتي الحديث عنه قريباً.

وأغلب المصلين هم من القارة الهندية، وفيهم قلة من الصينيين، مع أن المنطقة هذه منطقة صينية، ويفترض وجود

مسلمين صينيين فيها.

ولكن البر الصيني الرئيسي الذي منه هذه الأرض المتصلة بما كاو قد ابتلي بالشيوعية الحمقاء التي نشرت الإلحاد، وصدت الناس عن سبيل الله، وأثرت على بعض المسلمين من ناحية عدم البصيرة بالدين، وليس من ناحية الانتماء المجرد إليه.

فرغ الإمام من خطبته، بل من خطبتيه اللتين قرأهما قراءة غير متقنة من الكتاب، وأنا متيقن أنه لا أحد قد فهم منهما شيئاً، ولو كان خطب بالإنكليزية أو الصينية إذا كان يحسنها، ولا أظنه كذلك، لأن مظهره مظهر الهندي، لكان أفضل، ومن الطريف أنه ظلَّ بعد أن سلم من صلاة الجمعة رافعاً يده يدعو، أو كما تكون حال من يدعو، إذْ إنه لم يرفع صوته بشيء، بل كان يبدو كالصامت، والناس خلفه رافعون أيديهم أيضاً، وهم صامتون مثله، ولا أدري ما إذا كان يدعو حقيقة أم لا، وإذا كان يدعو فإن الناس لا يسمعون دعاءه، ولا يدرون ما يدعو به.

وبعد أن أكمل ما أراد من رفع يديه خفضهما، فخفض الناس أيديهم، وبذلك انتهى هذا الدعاء السري.

ثم قام لصلاة النافلة بعد الصلاة.

وصليت أنا صلاة العصر جمعاً بعد صلاة الجمعة، خلافاً لمن رأى من الفقهاء الحنابلة عدم الجمع بعد الجمعة، ظناً منهم أن ذلك

لا يجوز، وتفسيراً لعبارة فقهية تقول: ولا يجوز جمع الجمعة إلى العصر، وهذا فلان جمع العصر إلى الجمعة.

مع أن الأمر ليس فيه نص صريح يمنع منه، ونحن لسنا من أهل الجمعة المقيمين الذين تجب عليهم، بل نحن مسافرون في الأصل، من الذين لا تلزمهم صلاة الجمعة، ولكننا فضلنا أن نصلي الجمعة مع المسلمين، وذلك لا يخل بكوننا مسافرين، أي في حكم المسافر الذي يجوز له الجمع بين الصلاتين.

والجمعة هنا مقامة بنا وبغيرنا، فلا تكون جمعة المسافرين التي يرى بعض العلماء أنها لا تصح منهم إذا أقاموها.

طعام أهل الجمعة:

سلمت على الإمام بعد الصلاة، وسألته عن اسمه فقال: اسمي حاجي (يونس ...) باكستاني الأصل، ومولود في إندونيسيا.

فقلت له: إني أريد أن أجلس معك وأسألك عن بعض الأشياء المتعلقة بالمسلمين هنا.

فقال: لا مانع، ثم ذهب كالذي يريد أن يضع كتابه المجلد الذي خطب منه خطبة الجمعة، ولكنه لم يعد.

فقلت للأخ على (تينغ): ابحث لي عنه، فبحث ثم قال: وجدته يأكل هناك، وأشار إلى جهة من حديقة المسجد فيها مائدة حولها

كراسٍ كما في أكثر أنحاء الحديقة.

ثم اعترضنا أحد الإخوة الذين صلوا معنا، وهو صيني من جزيرة تايوان، جاء مع ابنه لصلاة الجمعة، وتكلم بالصينية مع الأخ علي (تينغ) بعد أن سلم علينا فقال علي: إنه يدعوك للطعام.

ولم أفهم الأمر أيضاً حتى شاهدت عدداً من المصلين يحمل كل واحد منهم صحنا مليئاً بالأرز فوقه إدام من اللحم أو السمك، ويجلس فوق إحدى الموائد تحت الأشجار، إما منفرداً أو مع غيره، ويأكل، وتبين أن بعض المسلمين قد أحضر طعاماً طبخه في مطبخ في المسجد، ثم صار يعطي منه كل من أراد الغداء من المصلين، وأرادوا أن يحضروا لنا الطعام لأننا لم نذهب لإحضاره بأنفسنا كما فعل الآخرون، ولكننا كنا تغدينا قبل الصلاة.



في حديقة مسجد ماكاو

وذكروا أن بعض المصلين يتبرع بثمن الطعام نقوداً، فيشتري أهل المسجد بها الأرز والسمك أو اللحم ويطبخونه للمصلين.

وقد رأيتهم كلهم أكلوا من الطعام، وظاهر الحال أنه بقيت منه بقية كبيرة، مع العلم بأن المصلين يظهر من حالهم أو حال أكثرهم أنهم من ميسوري الحال، أو الأغنياء، وليسوا من الفقراء، ولكن هذا الطعام بمثابة الهدية لهم.

وكان من بين المصلين الآكلين رجل عربي جاء وسلَّم علينا وقال: اسمي وليد عبد الله العوضي، وأنا من الكويت، حضرت إلى هذه البلاد منذ سنة ونصف، أُدرِّس اللغة الإنكليزية، ولكنني سوف أرجع إلى الكويت.

هكذا قال.

فسألته: أأنت العربي الوحيد الذي يصلي مع هؤلاء الإخوة صلاة الجمعة ؟ فقال: لا، هناك معي أخ تونسي يصلي الجمعة معنا في أكثر الأحيان، ولكنني لم أره اليوم. قال: ولا ثالث لنا من العرب:

قلت له: ألا تعرف أحداً من المسلمين يقود سيارة أجرة لنذهب به في تجول في (ماكاو) ونعطيه أجرة، ونحب أن يذهب ما ندفعه من الأجرة إليه بدلاً من أن يذهب إلى صاحب سيارة أجرة غير مسلم.

فقال: هاهنا أخ مسلم صلى معنا الجمعة، وهو يصلي الجمعة بانتظام، ولديه سيارة، إنه من سريلانكا، ويعيش هنا منذ أكثر من ثلاث سنوات، ويعرف أمور هذه المنطقة لأنها ضيقة.

قال: وأنا عشت فيها سنة ونصف وأعرفها، وسوف أركب معكم أيضاً لأساعد في الشرح، مع أن الأخ صاحب السيارة يتكلم الإنكليزية جيداً.

جولة في ماكاو:

كان الأخ المسلم قد فرغ من طعام الجمعة الذي قدم للمصلين بعد الصلاة، فركبنا معه واسمه محمد منير، وركب معنا الأخ العربي (وليد عبدالله العوضي)، فكان أول ما وقفنا عنده من (ماكاو) شاطئاً مجمّلاً اسمه (إبرايا بيتا)، وقد جملوه واعتنوا به مما هو كثير على هذه المنطقة الصغيرة الضيقة، فقد أحاطوه برصيف جيد، دونه رصيف اخفض منه مما يلي البحر، عليه درجات قصيرة.

أما ما يلي البلدة (ماكاو) فإنه رصيف جيد جداً من حيث البناء والصيانة، عليه شارع البحر المسمى عند العامة شارع الكورنيش، تليه مما يلي المدينة حديقة من الأعشاب النضرة المزروعة المعتنى بها، وقد غرسوا زهوراً جميلة منسقة في مواضع منها، ويتوسطه قوس أحمر يعارضه قوس آخر مثله أحمر، ولا

ندري ما يرمز إليه.

وهـذا الشـاطئ أجمـل مـن شـاطئ هونـغ كونـغ، بحيـث إذا رأيته ظننت أنه شاطئ نهر، وليس شاطئ بحر.

ويشـاهد المـرء مـن هـذا الشـاطئ الشـاطئ الصيـني لمنطقة(سوهاي) ومعناها لؤلؤ البحر، وترى منه الأبنية واضحة، بل وبعض الشوارع.



الزهور في ماكاو مع علي تينغ

وإلى اليسار منه الممر الأرضي المتصل الذي يصل الصين براً (بماكاو)، وهو سهل الدخول والخروج، حتى إن الأجنبي الذي

يصل إلى ماكاو يستطيع الذهاب إلى الصين والعودة منها في ساعتين، لأن إجراءات الدخول إلى الصين هنا ميسرة حرصاً على المصالح الاقتصادية، وكثير من الناس وبخاصة من أهل الصين يسافرون من هذه الحدود سيراً على الأقدام لقربها، وسهولة الوصول إليها.

أما الأجنبي الذي يريد أن يبقى مدة أطول في الصين، فإنه يستطيع الحصول على إقامة لمدة ثلاثة أيام في هذه المنطقة، يحصل على ذلك من الحدود.

وتسهل حكومة الصين هذه الإجراءات حرصاً منها على انسياب البضائع والسياح من (ماكاو) التي تعتبر منطقة حرة للتجارة، ويعمل فيها صينيون كثر، وتستوعب بضائع ومحصولات صينية تباع فيها أو تصدر منها.

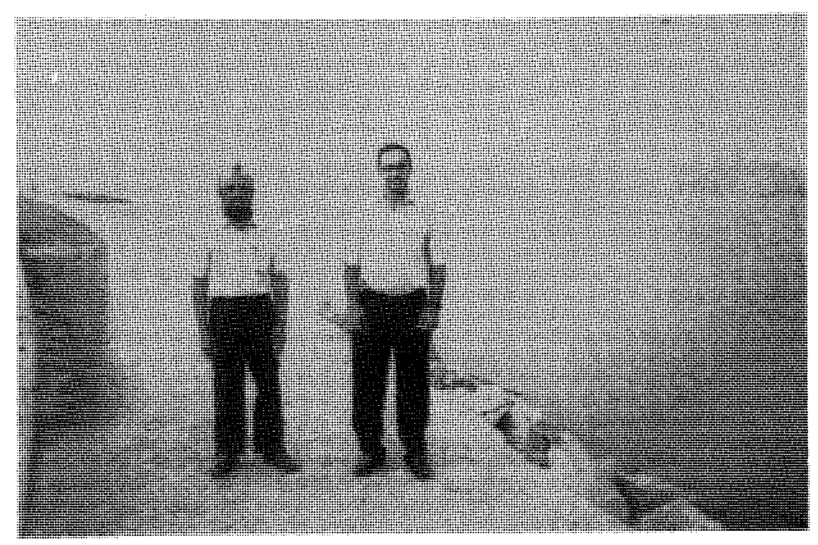
وقد التقطنا صوراً تذكارية في هذا الشاطئ الجميل.

وقفة على حدود الصين:

سرنا قليلاً فوصلنا إلى الحدود الصينية مع ماكاو، ورأيت أفواج المسافرين والقادمين وهم يسيرون على أقدامهم، بعضهم معه كيس أو كالكيس في يده، يحمل فيه شيئاً، وبعضهم يداه فارغتان.

والحدود واقعة في (ماكاو) وليست في خلاء من الأرض، أو

حتى في داخل أرض الصين.

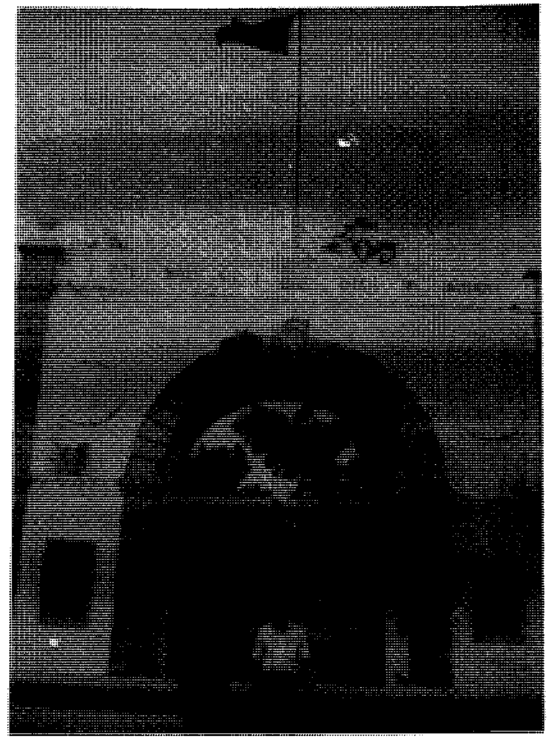


المؤلف مع وليد العوضي خلفنا الصين بعد الخليج،ونحن في شاطئ ماكاو

وقد رتبت ترتيباً جيداً، إذْ هناك ممر للذاهبين من (ماكاو) إلى الصين حيطانه من شبك الحديد، بحيث يرى المرء من يمرون به، وجزء منه فيه زجاج مع الحديد، ويرى أفواج المسافرين إلى الصين والقادمين كأنما يسيرون في شارع قد ملؤوه لكثرتهم، ولكن مظاهرهم ليست بذلك، لأنهم من الصينيين الريفيين الذين يشكو كثير منهم من العوز، وتبين عليهم مظاهره، بخلاف أهل ماكاو المقيمين فيها.

وممر آخر مقابل له للقادمين من الصين إلى (ماكاو) الذين لا يحتاجون إلى سمات دخول، وبين الممرين فراغ غير واسع، تغلقه بوابة لا يدخل ولا يخرج منها، ولكنها رمزية تسمى (*بوابة الصين*) إذ ممر الدخول والخروج بجانبها.

وهي واقعة في المنطقة الفاصلة بين الممرين داخل أرض (ماكاو)، لذلك وصلنا إليها، والتقطنا صورة تذكارية فيها.



صورة علي تينغ عند قوس الحدود بين ماكاو والصين

وعلى هذه البوابة يرفرف علم البرتغال التي تستعمر (ماكاو) وكانت تملكها، أو تعتبرها كذلك في القديم.

وقد كتبوا تاريخ هذه البوابة، وهو ١٢ أغسطس عام ١٨٤٩.

وعليه كتابة بالإنكليزية والبرتغالية والصينية تقول: إنه بعد وصول البرتغاليين إلى هذه المنطقة في القرن السادس عشر حددت الحدود عند هذه النقطة.

ومن لطيف ما صنعه البرتغاليون في هذا المكان أنهم رسموا على حيطانه رسوماً مهمة تحكي تطور (ماكاو)، وتصور بالرسم ما كانت عليه عبر العصور التي صارت فيها تحت حكم البرتغاليين.

ومن الأشياء المهمة فيها لوحة رسمها البرتغاليون للجزر التي كانت في أيديهم في مبدأ استعمارهم للمنطقة، وقد أدخلوا فيها (فرموزا) وهي تايوان التي عاصمتها تايبيه، وهم الذين أسموها فرموزا مروراً بماكاو وحتى كولون التي صارت بعد ذلك إنكليزية، وألفت جزءاً من هونغ كونغ.

وهذه اللوحات مهمة من الناحية التاريخية، وتظهر أهميتها من إلقاء نظرة عاجلة عليها، ثم الالتفات إلى المدينة مدينة (ماكاو)، ولا أدري أنسميها كلها مدينة أو منطقة، فهي ضيقة إلى درجة لا تستحق معها أن تسمى لها عاصمة، وتظهر الأبنية

الضخمة العالية التي تتألف من طوابق قد تصل إلى عشرين، وأكثرها إن لم تكن كلها جيدة المظهر لا يفرق المرء بينها وبين الأبنية المماثلة لها في الحجم في أوروبا.

ثم تركنا منطقة الحدود مع الصين، وسرنا مع طريق البحر، والبحر يحيط بماكاو من كل جهة إلا الجهة الشمالية؛ حيث يوجد لسان بري يربطها بالصين، فصعدنا مع جسر طويل، والأبنية الضخمة العالية تطالعنا من جهة المدينة في تزاحم غريب.

ثم صعدنا جسراً آخر طولياً أي أنه مستطيل فوق الطريق، وليس معترضاً عليه، وإنما يوجد تحته طريق معترض.



المؤلف في أحد شوارع ماكاو

وكل هذا على شارع شاطئ البحر الذي تسميه العامة (شارع الكورنيش).

وجميع الشوارع والأزقة التي نراها مزفتة تزفيتاً جيداً، والأرصفة مرصفة ومبلطة بشكل جيد أيضاً.

وهي بهذا تبدو كما تبدو العاصمة المعتنى بها لدولة غنية، مع أنها صغيرة ليست لها ملحقات إلاّ جزيرة سوف يأتي الكلام عليها عندما نذهب لزيارتها.

وحتى النوافير فيها عديدة في المتسعات التي فيها حدائق، فهي بهذا أكثر من هونغ كونغ من ناحية وجود النوافير في رقعة ضيقة.

واصلنا السير مع شارع الشاطئ، وقد أنعطف من جهة اليمين التي هي لنا جهة الجنوب، فرأيناهم اعتنوا بالمجسمات الجمالية الفنية فأقاموها في أماكن عديدة، قرب الشاطئ.

قلب المدينة:

دخلنا من شارع الشاطئ من جهة جنوب المدينة إلى داخل المدينة لنرى قلبها، فكان السائد هنا أن (ماكاو) أشبه بالسوق المفتوح كلها، وأن عدد المحلات التجارية والحوانيت فيها ربما يعادل عدد الأبنية الأخرى، وأنها ضيقة الشوارع، ومع ذلك تمتلئ بالسيارات.

أما ضيق الشوارع فسببه واضح، وهو ضيق رقعة الأرض من جهة، وكونها قديمة من جهة أخرى، ما عدا شارع الشاطئ فإنه لا بأس بسعته.



المؤلف في ميدان ليال سينادو في قلب مدينة ماكاو

وصلنا مع زحام من السيارات شديد إلى قلب المدينة، وهو ساحة ضيقة تتوسطها نافورة قد شغلت حيزاً كبيراً منها، وعليها مبانٍ قديمة، لكن معتنى بها وبصيانتها، وحتى بطلائها فيها ما لونه أصفر فاقع، وأحمر قانٍ، وربما كان ذلك ناشئاً من معرفتهم بمحبة أهل الصين للألوان الصارخة، كما ذكرنا ذلك عن أهل (هونغ كونغ).

واسم هذا المكان الذي هو قلب المدينة (ليال سينادو) وهو اسم برتغالي.

ولم يكن بالمستطاع إيجاد موقف للسيارة لضيق المكان وكثرة السيارات.

لذا ارتد سائقنا وأخونا بسيارته خارجاً من قلب المدينة هذا، والمراد بالقلب هنا القسم القديم منها، وليس القلب التجاري الذي يسميه الأمريكيون بالداون تاون، فذلك يمكن أن يشمل (ماكاو) كلها.



العمائر الضخمة في ماكاو

هذا وكنت منذ أن وصلت إلى (ماكاو) أبحث ببصري عن البرتغاليين المستعمرين فلم أجد منهم إلا رجلاً وامرأة لم أر غيرهما، وإنما كل الناس هنا هم من الصينيين، ويظهر أن أهل هذه المنطقة الحارة من الصين ليسوا من ذوي المناظر والمظاهر الصينية الوجيهة، فهم في هذا الأمر أدنى من أهل مقاطعة يونان الجنوبية الغربية الواقعة على حدود بورما، غير بعيدة من حدود تايلند، وقد ذكرت زيارتي لمنطقة (يونان) الصينية تلك في كتاب: «**العودة إلى الصين**» وهو كتاب مطبوع.

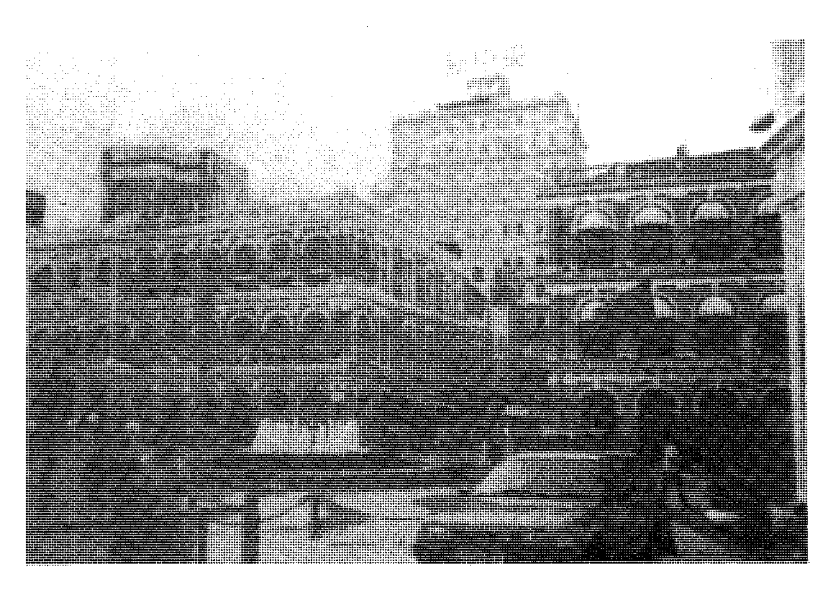
ومن المظاهر الغريبة هنا مع عدم وجود البرتغاليين أن اللافتات تكاد تكون كلها باللغة الصينية، أو أن اللغة الصينية هي الغالبة على اللافتات، حتى صارت اللغة البرتغالية في اللافتات المكتوبة قليلة قلة البرتغاليين في المنطقة، ومع ذلك تخالطها اللغة الإنكليزية من أجل أهل هونغ كونغ الذين يزورون (ماكاو) وغيرهم ممن يعرفون الإنكليزية.

ومما يستشهد به هنا أن أكثر الناس لا يعرفون البرتغالية، وإذا سألت أحدهم من أهل (ماكاو) بمعنى أنه من المقيمين فيها، وقد يكون من المولودين فيها مثل الأخ (محمد علي) رئيس الجمعية الإسلامية في (ماكاو)، عما إذا كان يعرف البرتغالية، قال: إنه يعرف قليلاً منها، حتى إذا حادثته بما أعرفه منها مما تعلمته في البرازيل وجدته لا يعرف شيئاً إلا جملة: إنني أعرف قليلاً من

البرتغالية أو (إيوفا لامنتو بوكو برتقيز)..

وحتى الذين أقاموا فيها سنوات لا يعرفون البرتغالية، وإنما اللغة الثانية في (ماكاو) بعد الصينية هي الإنكليزية.

وقد أعجبت بمعرفتي الضئيلة للبرتغالية عندما رأيت مقدار معرفتهم بها.



وسط ماكاو

وهذا الأمر أي قلة المعرفة البرتغالية لسكان هذه المستعمرة يدل على تخلف البرتغاليين وضحالة اهتمامهم بثقافتهم ومنها لغتهم، إذ لو كانوا فتحوا المدارس وأجبروا السكان على تعلم

اللغة البرتغالية فيها، لكان الأمر مختلفاً عما هو عليه الآن.

وربما كان مرجع ذلك إلى عدم ثقتهم بالبقاء في (ماكاو) وضعف ارتباطها بالمركز البرتغالي في لشبونة.

الشارع الرئيسي:

مع كثرة الشوارع في (ماكاو)، وبخاصة ما كان منها خارج مركز المدينة، فإن شارعاً في وسط المدينة القديم يعرف عندهم بالشارع الرئيسي، وهو طويل نسبياً، ولكنه ليس واسعاً وهو حافل مثل غيره بالمحلات التجارية المهمة، واسمه (جوا الميدا)، وهذا اسم برتغالي مؤلف من اسمين علمين شائعين، أحدهما (جوا) ولا أزال ذكر اسم مدينة مهمة في شمال البرازيل، وهي عاصمة بارايبيا واسمها (جُوَّا بوسوا) على اسم رجل له أثر كبير في المنطقة، ومعلوم أن البرازيل كانت مستعمرة برتغالية، وأن اللغة البرتغالية هي لغتها الوطنية، والثاني: (الميدا) ولا يزال يرن في سمعي اسم قائد برتغالي من أوائل من استداروا حول القارة الإفريقية قادمين من البرتغال، فمروا رأس الرجاء الصالح، وبقوا في شرق إفريقية يحاولون الوصول إلى الهند حتى يظفروا منها بالتوابل التي تدر عليهم ربحاً عظيماً، وكان (الميدا) هذا أهم شخص بعد فاسكو دي جاما، كان له أثر في وصول البرتغاليين إلى الهند.



الشارع الرئيسي في ماكاو

والتفكير في اسم الشارع الرئيسي يقودنا إلى التفكير في اسم (ماكاو) نفسها، وقد قال لنا الإخوة المرافقون: إنه اسم برتغالي، معناه بوابة الخليج الكبير، والله أعلم.

إلى جزيرة طيبه:

لم يكن هذا بلغة البرتغاليين، وإنما هو يقرب من هذا، وهو (تايباه) وإذا كان اللفظ كذلك قريباً من جرس الكلام واللفظ باللغة العربية التي أثرت في البرتغاليين أثراً لم يستطع الدهر أن يمحوه، ولا يزال باقياً حتى الآن، فإنه يتبادر إلى الذهن أن اللفظ

من العربية، لكن لا يجزم بذلك إلا بعد البحث والتأكيد.

فمن آثار اللغة العربية في البرتغالية التي تستعمل يومياً كلمة (الكوب) مفرد الأكواب الواردة في القرآن الكريم: ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ ﴾.

وكلمة (الزيت)، وهي هي حتى في التعريف، فيقول البرتغاليون ومثلهم من أخذ لغتهم منهم كالبرازيليين (الزيت) بالتعريف، ولا يقولون زيت، وكذلك (السّكّر) والليمون، وهي ألفاظ كثيرة، ويصعب حصرها، ولكن لا بد أن يصادفها السائح لأنها من التي يحتاجها بكثرة.

ولم يستبعد ذلك إخواننا الذين أسموا هذه الجزيرة (طيبة) لقرب ذلك من اسمها البرتغالي (تاباه)، على أنني أتوقف في هذا الأمر إلا بعد البحث، وذلك لأنني لمحت في (ماكاو) هذه اسماً تردد على سمعي كثيراً في البرازيل وهو اسم (بهية)، ولفظها كاللفظ العربي، وهي اسم ولاية شرقية في البرازيل عاصمتها (سلفادور) زرتها، وكتبت عنها فصلا ضافياً من كتاب: ((**شرق البرازيل**)) المطبوع، ولما سألت إخوتنا العرب في البرازيل عنها، ذكروا أنهم يعرفون أنها كلمة برتغالية وليست عربية

أما الاسم الذي يطلق على المكان (الماكاوي) نسبة إلى

ماكاو (بهية) فإنني لا أعرفه.

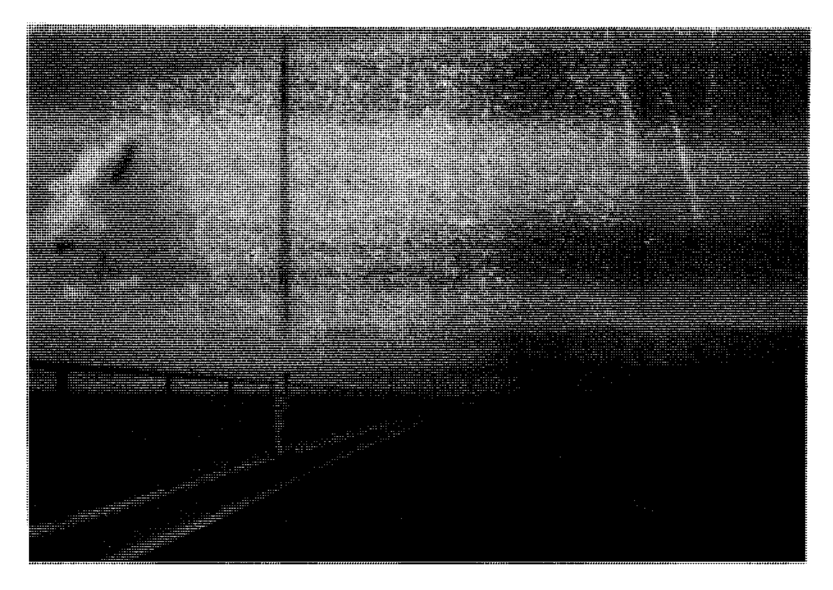
و(تايباه) أو طيبه الماكاوية هذه جزيرة مهمة لهم لضيق الأرض اليابسة حولهم ولذلك مدو إليها من الأرض الرئيسية (ماكاو) جسراً طويلاً أنفقوا عليه كثيراً مع أن الجزيرة صغيرة وحتى الأرض الرئيسية (ماكاو) هي ضيقة أيضاً.

وللجزيرة اسم صيني أيضاً هو (تنغ جاي)، وهذا الذي كتبناه هو ما فهمناه من نطقه، وإلاً فإن في اللغة الصينية أصوات ومقاطع ليست موجودة بالعربية، وقد درج الغربيون على أن يكتبوا الحرف الذي لا يوجد في لغاتهم بحرفين يستوحونهما من مخرجه، أي مخرج ذلك الحرف الصيني، مثل اسم زعيم الشيوعية (ماوتسي تونغ) ونقلنا اسمه هكذا من الأوروبيين، مع العلم بأن (تسي) هي حرفان لا ثلاثة حروف، ولكنهم جعلوا التاء والسين رمزاً لحرف واحد مخرجه بين السين والتاء، وهو شبيه بحرف في اللغة العامية النجدية هو الموجود في الكاف من (كيف)؟ علامة الاستفهام، أو القاف من (قربه) وقليل: ضد كثير.

أما تونغ فإنه يظهر أربعة حروف، مع أنه حرفان، لأن اللغة الصينية كلها ينطق بها على أساس المقاطع التي تتألف من حرفين، الأول منهما متحرك والثاني ساكن، و(تونغ) حرف التاء صريح صحيح بعده مدة، ثم مدة أشبه بالوصلة ليس فيها حرف

واضح تصح كتابته، و(نْغ) بإسكان النون.

ركبنا إلى جزيرة (تاييباه) جسراً طويلاً جداً حتى قالوا: إن طوله يبلغ ٣٢٠٠ متر، وكله بطبيعة الحال فوق مياه خليج بحري واسع، ولكنه ضحل الماء.



على الجسر الطويل ما بين ما كاو وطيبة

وقد عجبت من كونهم مدوا هذا الجسر المكلف من أجل هذه الجزيرة الصغيرة، ولكن الذي حملهم إلى ذلك هو ضيق رقعة اليابسة عندهم، وحاجاتهم إلى أي رقعة أخرى من اليابسة، ولو كانت ضيقة.

ومع أن هذا الجسر جيد، ويبدو عليه انه قد جدد، فإنني رأيت عمالاً فيه يجدون طلاءه، ورأيت جزيرة (تايباه) ونحن نقبل عليها مع الجسر فيها مناطق جبلية وأبنية عالية مؤلفة من شقق سكنية، وبدت لنا واسعة نوعاً ما، بسبب الشعور بضيق أرض ماكاو.

وقفنا في مرتفع جبلي منها يطل على الساحل والبحر يشقه هذا الجسر الطويل في منظر أنيق.

واسم المكان الذي وقفنا فيه هو (تاييه بيكونا ٢٠٠٠) وقال الأخ (علي تينغ): إن المراد بالألفين هنا ألفا متر للذين يعشقون الرياضة، ويريدون أن يجروا جرياً رياضياً حراً فيها، ولم أفهم صحة ذلك.

وقد بدت (ماكاو) الرئيسية من هذا المكان منسقة العمارة، وإن كانت الأبنية فيها أقل ارتفاعاً من الأبنية في هونغ كونغ.

اخترقنا جزيرة (تايباه) أو (طيبه)، وهي أقل ازدحاماً بالسيارات من ماكاو، وإن كانت فيها سيارات كثيرة، وهي أيضاً منظمة الشوارع وتكثر فيها اللافتات الإرشادية، ولكن من الملاحظ الذي لم أكن أتوقعه أن تكون فيها أبنية عالية متعددة الطبقات، وكنت أظن أنهم يتركونها ريفية صالحة لمن يريد أن

يسكن بعيداً من زحام المدينة، ومع ذلك فإن الأبنية العالية ليست متزاحمة كالتي في (ماكاو).

وشارعها الرئيسي الذي يشق وسطها مزدوج بين جزئيه الذاهب والآيب جزيرة، والجزيرة تعتبر كلها خضراء، إذْ فيها مناطق خالية من المساكن، وفيها غابات خضرة نضرة، وفيها عدة حدائق في سفوح الجبال، وحتى في جوانبها، وذلك من أجل توفير الأرض المطمئنة للمساكن وغيرها من الأغراض.

والحدائق هنا أكثر، وأكثر نضارة منها في ماكاو.

العودة إلى ماكاو:

لم نضع كبير وقت في جزيرة طيبة فهي صغيرة، وسائقنا الأخ المسلم محمد منير السيرلانكي الجنسية يعرفها جيداً، ولذلك مررنا على الأماكن المهمة فيها بسرعة.

وقد عدنا مع جسر حديث أطول من الجسر الأول على طول الأول، وأعرض منه كثيراً، إذ الأول ليس فيه إلا ممر واحد للسيارات الذاهبة والآيبة، أما هذا الحديث فإنه اتجاهان مفصولان أحدهما للسيارات الذاهبة والثاني للآيبة.

وفرق آخر بين الجسرين القديم والجديد، وهو أن هذا الجديد الذي رجعنا إلى (ماكاو) منه يبلغ طوله ٥٢٠٠ متر، فهو

أطـول مـن الأول بمـرة ونصـف، ومـع ذلـك رأينـاه كـالأول عندمـا سلكناه مزدحماً بالسيارات المسرعة بل المهرولة في الاتجاهين.

ولاحظت أن وسطه محدب أي مرفوع رفعاً ظاهراً بالنسبة إلى بقيته، فذكروا أنهم تعمدوا رفعه من أجل أن تمر السفن من تحته دون أن تحتاج إلى من يفتح لها الجسر.

المسلمون في ماكاو:

لابد قبل أن نفارق (ماكاو) من إلقاء نظرة على السكان فيها، وعدد المسلمين منهم، وإن كان ذلك بصفة مختصرة، لأن المعلومات التي حصلنا عليها عن ذلك مختصرة، وذلك بسبب قلة عدد المسلمين، إضافة إلى ضيق (ماكاو)، وقلة أهميتها نسبياً.

فالسكان فيها يبلغ عددهم ٧٢٠ ألف نسمة، وهذا يعادل ١٠٪ من سكان هونغ كونغ على وجه التقريب.

ويبلغ عدد المسلمين في (ماكاو) ألف نسمة حسبما ما قاله لي رئيس الجمعية الإسلامية في (ماكاو)، وهو مهتم بذلك، وعارف به، قال: والألف هذا يشمل الأطفال والنساء.

ولذلك لا يوجد فيها إلاَّ مسجد واحد هو الذي صلينا فيه الجمعة، وتقدم ذكره.

ومعظم المسلمين في (ماكاو) يرجعون إلى أصول هندية من

الهند وباكستان وبنقلادش، وفيهم قلة من مسلمي الصين الذين جاؤوا إليها من هونغ كونغ، أو من نواح أخرى من الصين، لأن المنطقة الصينية التي تليها وهي (سوهاي) ليست من مواطن المسلمين في الصين.

وعندما رأيت ضيق المسجد والحاجة إلى توسعة المقبرة من الأرض القريبة من المسجد، قلت لعدد منهم إمام المسجد: ألا تخشون أن تضيق المقبرة بكم فتحاصر القبور المسجد ؟ ولا يجوز أن يكون في قبلته شيء منها ؟ فقال: الواقع أن لدينا أرضاً مجاورة لأرض المسجد وحديقته التي نحن فيها، وهي هذه التي ترونها تقع إلى الجنوب من المسجد، وهي واسعة أجرناها الآن ننتفع بأجرتها ريثما يتم البدء ببناء المسجد عليها، ورأيت موقع المسجد المقترح واسعاً بعيداً عن القبور، سيكون مشرفاً على المنطقة بجانب خليج أو بحيرة الماء العذب التي يقع المسجد عليها.

ثم أعطونا ورقة رسمية فيها بيان شامل لحركة بناء المسجد في (ماكاو) وتطورها على مدى السنين، هذه ترجمتها:

من: السيد / إبراهيم إسماعيل محمد - رئيس الجمعية الإسلامية الخيرية في جزيرة مكاو إلى: فضيلة الشيخ محمد ناصر العبودي- الأمين العام المساعد للرابطة حفظه الله

الموضوع: حول اختيار أعضاء مجلس إدارة الجمعية

الإسلامية الخيرية في مكاو.

تجدون معاليكم فيما يلي قائمة بأسماء أعضاء مجلس إدارة الجمعية الإسلامية الخيرية في جزيرة مكاو، وهم:

الاسم	الصفة
إبراهيم إسماعيل محمد	رئيساً
فضل داد	نائباً للرئيس
فضل الرحمن	سكرتير فخري
علي محمد	أمين صندوق فخري
موسياو إياو	مديراً
يونس بن عامر أحمد	مديراً وإماماً
يعقوب علاء الدين	مديراً
سارة موسى	مديراً
مايوك لينغ	مديراً
الإمام عثمان يانغ شنغ بن	مستشاراً دينياً
رحمة الله م. عمر	مستشاراً دينياً

نيابة عن أعضاء المجلس وأصالة عن نفسي، أرفع إليكم تعبيرات أحر التحيات، والشكر على اهتمامكم بزيارة مكاو في مثل هذا الوقت الضيق مع السلام.

التعريف بالجمعية الإسلامية الخيرية في مكاو

- أسسها في عام ١٩٢٣ لفيف من التجار ((الميمون)) القادمين من

الهند، ومن أفراد الجيش والشرطة من أبناء جزيرة ((قووا)) الذين تم نقلهم إلى جزيرة مكاو من قبل الجيش البريطاني.

- تسعى لرعاية مصالح المسلمين المقيمين في مكاو.
- استأجرت قيادة الجمعية قطعة أرض من الحكومة عام ١٩٣٠ بسعر رمزي، وأقامت عليها مسجداً صغيراً، وخصصت جزءاً منها لإنشاء مقبرة خاصة بالمسلمين.
- عندما تحررت الصين عام ١٩٤٩ أصبح الوضع في الجزيرة غير مستقر، فنقلت الحكومة البرتغالية قوات ضخمة للحفاظ على الأمن في الجزيرة، واستعارت من الجمعية ثلثي قطعة الأرض لإقامة أولئك الجنود.
- عندما غادرت القوات المذكورة أراضي ماكاو عام ١٩٥٨ أقامت الحكومة ورشة عمل لأفراد الشرطة في الموقع المشار إليه، بدلاً من إعادته إلى الجمعية الإسلامية.
- أقام الرئيس السابق للجمعية السيد/ يعقوب دعوى قضائية بواسطة بعض المحامين والمقاولين المعماريين لاسترجاع قطعة الأرض، وتم له ذلك عام ١٩٩٦ حيث عادت الأرض إلى حيازة الجمعية الإسلامية.
- بعد ذلك تم الاتفاق مع شريك الجمعية الذي ساعد على استعادة قطعة الأرض على إنشاء مجمع سكني وتجاري على جزء من قطعة الأرض، واستعمال الجزء الآخر لإقامة مسجد ومركز إسلامي.

- نتيجة للانخفاض الحاد في أثمان العقارات في مكاو خلال السنتين الماضيتين انخفضت القيمة التي كانت الجمعية ستتقاضاها من شريكها، فاضطرت الجمعية إلى دراسة خطط لخفض نطاق المشروع، بغية تخفيض التكلفة والتمكن من إكمال المشروع الذي سيوفر مكانا لعبادة الله سبحانه وتعالى.

- بعد خفض التكاليف وتصغير حجم المشروع اتضح أن المشروع سيحتاج إلى مبلغ ٢٢ مليون دولار مكاو، وأن صافي الأرباح التي سيجنيها المشروع التجاريْ ستكون على أقصى التقدير أيضاً ٢٢ مليون مكاو.

- ستكون الجمعية بحاجة إلى الاحتفاظ باحتياطي نقدي للطوارئ يقدر بمبلغ مليون دولار مكاو، ومبلغ خمسة مليون دولار مكاو تستثمره لإيجاد دخل ثابت لصيانة المسجد والمركز.

- يبذل القائمون على المشروع قصارى الجهد لتخفيض تكاليف المشروع، كما يسعون إلى الحصول على التبرعات من المسلمين أفراداً وتنظيمات لإتمام المشروع بنجاح.

انتهى كلام الجمعية.

مغادرة ماكاو:

ذهب بنا الأخ المسلم محمد منير ومعنا الأخ وليد العوضي الكويتي إلى ميناء السفن التي تغادر (ماكاو) إلى هونغ كونغ.

وبعد الخامسة بدقائق عصراً ودعنا الأخوين بعد أن أعطيت الأخ السائق محمد منير أكثر مما يستحقه، فقدر ذلك وشكره.

اشترينا تذكرتين بالدرجة الأولى هذه المرة، ولكن الباخرة غير الأولى، فهي أحدث وأنظف، ومررنا بمكتب الجوازات فختموا على جوازي بالخروج.

وقد أبحرت السفينة من المرسى (الماكاوي) وصارت تباري الجسر الطويل الذاهب إلى جزيرة طيبة، وقد رأينا الجزيرة غارقة في بخار الماء وكأنها هي تسبح فيه، وذلك أن الوقت كان مساءاً متأخراً، ثم دخلت تحت الجسر المقام على أعمدة متباعدة في البحر، وهذا لم تفعله الأولى.

ومن الفروق ما بينها وبين السفينة الأولى أن مقاعدها ليست فيها أحزمة مما يدل على أنها أكثر ثباتاً على الماء من الأولى، وهذا واضح فيها.

وكان الجو غير صافٍ، بل فيه ما يشبه القتام، ربما كان من بخار الماء، أو خالطه شيء من غبار اليابسة قادماً من بعيد.

العودة إلى هونغ كونغ:

بعد مسيرة ساعة كاملة في البحر أرست سفينتنا في مرسى هونغ كونغ الذي أقلعنا منه، وهذا أكثر من مدة المسافة في

الذهاب إلى (ماكاو)، إذْ لم يزد ذلك على ٥٢ دقيقة .

ورغم كثرة الركاب في سفينتنا وغيرها، فإنهم لم يتلبثوا عند ضابط الجوازات كثيراً، لأنهم كانوا ينظرون في البطاقات التي يحملها الركاب ويدعونهم يدخلون، أما أنا فإنني وقفت عند مكتب خاص عليه لافتة تفيد بأنه لغير مواطني هونغ كونغ و(ماكاو)، ولم يتردد الضابط في سرعة الختم على جوازي بالدخول مجدداً إلى (هونغ كونغ)، من دون أن يطلب أي رسم أو نحوه.

وتكرر معنا السير الطويل على الأقدام ثم الهبوط مع درج كهربائي متحرك، فالدخول إلى محطة القطارات الكهربائية تحت الأرض.

وهكذا عدنا إلى منطقتنا، المنطقة التجارية من (كولون)، ففيها فندقي، وفيها مسكن الأخ (علي تينغ)، وقد سألته عما إذا كان يدفع أجرة للمسكن، فذكر أنه مملوك لزوجته، وأنه لذلك لا يدفع له أجراً.

العشاء الأخيرة:

والمراد به صلاة العشاء الأخيرة، فهذا اليوم هو آخر الأيام الكاملة لنا في هونغ كونغ، إذْ من المقرر أن أسافر إلى دبي.

وقد ذهبت إلى جامع كولون لصلاة العشاء فيه طبقاً لما كنت أفعله كل يوم منذ وصولي، وذلك لقربه من الفندق، ولكوني رأيت فيه ما سرني من حال إخواني المسلمين الذين كانوا يحضرون صلاة العشاء فيه من جميع الأجناس والألوان.

وقد تأملت المسجد في هذه المرة فوجدتهم كتبوا عليه لافتة بالعربية تقول:

«بني هذا المسجد والمركز الإسلامي على نفقة المسلمين في داخل وخارج هونغ كونغ وقفاً لله تعالى، وتم افتتاحه في شهر شعبان ١٤٠٤هـ شهر مايو ١٩٨٤م».

هذه هي اللافتة التي ذكروها، وقد استعدت شيئاً يتعلق به حدث عندما كنت أشغل وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية، ومقرها الرياض، وذلك أننا تلقينا طلباً من القائمين على المسجد يلتمسون فيه المساعدة لبناء مسجد (كولون) هذا، لأنهم هدموه ووسعوه مما اقتضى نفقات كثيرة إضافية، وكان الملك فهد بن عبد العزيز آنذاك ولياً للعهد، ولكنه كان يصرف أمور الدولة بناء على تفويض رسمي من الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله -، ومن ذلك النظر في هذه الأمور، فصدر أمره السامي يصرف مساعدة ضخمة لنفقات هذا المسجد، لا أعرف

مقدارها بالضبط، ولكني أظن أنها لا تقل عن سبعة ملايين ريال سعودي.

وصرفت بالفعل، وبذلك تكون بلادنا قد أسهمت أكثر من غيرها في بناء هذا الجامع، ولم ينوه به إلا هذا التنويه المجمل الذي يقول: إنه بني على نفقة المسلمين من داخل هونغ كونغ وخارجها، وعلى كل حال فإن هذا أمر غير مهم إلاَّ في بيان الحقيقة، ولكن لأنه كان على يدي لأنني كنت آنذاك الأمين العام للهيئة العليا للدعوة الإسلامية، إضافة إلى وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية، وتحت هذه العبارة العربية ترجمتها بالإنكليزية والأوردية.

وأذكر بهذه المناسبة أنه كان يوجد في مكانه مسجد خشبي قديم، كانت الحكومة البريطانية قد بنته هنا من أجل أن يصلي فيه جنودها المسلمون.

وكان ذلك بعد الحرب العالمية الأولى، ولم يكن عدد المسلمين في هونغ كونغ كثيراً، بل قيل لي إنه يتراوح بين مائة وثمانين ومائتين.

وبعد الحرب العالمية الثانية ضاق المسجد الخشبي بالمصلين فوسعوه وزادوا في مساحته، وذلك في عام ١٩٤٦هـ، ثم كانت هذه التوسعة الكبيرة والبناء العظيم الذي افتتح في عام ١٤٠٤هـ .

شيء لم يخطر ببالي:

لاقيت إمام المسجد الشيخ (محمد) بعد صلاة العشاء كالعادة، فذكر أنه يود أن يقابلني قبل سفري، فواعدته التاسعة والنصف من صباح غد، ولكنه لم يحضر.

وعندما انصرفت من المسجد بعد ذلك إلى الفندق لاحظت أن أحد الإخوة الباكستانيين وكان يضع (شماغاً) أحمر على كتفه، والشماغ هو هذا الذي نضعه على رؤوسنا غطاء للرأس، كان هذا الأخ يراقبني من بعيد، وذكرت أنه كان صلى معنا العشاء.

وقبل الوصول إلى فندقي برز أمامي هو وشيخ باكستاني بادرني هذا بأن سألني: أأنت الشيخ محمد بن ناصر العبودي؟ قلت: نعم. قال: لقد خرجت اليوم إلى مطار هونغ كونغ لاستقبالكم في المطار، ولبثت في المطار ساعتين حتى جاءت الطائرة التي من المقرر أن تكونوا معها من مانيلا ولستم فيها.

ثم أخرج إليّ فاكساً مكتوباً بالعربية يقول: ترجو الرابطة استقبال فلان تقصدني في مطار هونغ كونغ، لأنه سوف يقدم من مانيلا.

قال: وكنت في بريطانيا، وهو يحمل الجنسية البريطانية، ووصلت إلى هونغ كونغ أمس الخميس فوجدت هذا الفاكس، فخرجت للمطار.

فقلت له: من أنت ؟ فقال: أنا محمد طيب القاسمي.

قلت له: إنني اتصلت بإمام المسجد أول يوم وصلت فيه وأخبرته أن الرابطة كتبت لإمام الجامع باستقبالي في المطار يوم الجمعة، ولكني تعجلت في الوصول إلى هونغ كونغ، لأن عملي في جنوب الفلبين انتهى قبل يوم الجمعة، وقلت للإمام: إنني أحببت أن أخبرك بذلك لئلا تتعب في الخروج إلى المطار يوم الجمعة، ورجوته أن يعتبر الأمر منتهياً.

قلت له: والأغرب من ذلك أنني سألته عما إذا كان في إمامة هذا المسجد منذ مدة طويلة؟

فأجاب: نعم إنني إمام فيه منذ سنتين، مما جعلني أجزم بأنه الذي كتب بطلب إرسال علماء من المملكة العربية السعودية إلى هونغ كونغ.

فتعجب محدثي، وذهب معي ومرافقه إلى غرفتي في الفندق، حيث ظللنا مدة طويلة نتحدث، وقال: الواقع أنني أنا الذي أرسلت الطلب المذكور، وكنت إمام هذا المسجد الجامع منذ بضع عشرة سنة.

وهذا الإمام الحالي كان نائب الإمام منذ سنتين، وقد عزلني مجلس الأمناء في الاتحاد الإسلامي لهونغ كونغ منذ ثلاثة أشهر، وبالتحديد في شهر أغسطس، وعين الإمام الحالي الذي

كلمته بدلاً مني.

فقلت: كان الأولى أن يخبرني أنه لم يتسلم البرقية التي أشرت إليها من الرابطة، وأنه لم يرسل طلباً إلى المملكة لإرسال علماء إلى هونغ كونغ، لأن ذلك هو الواضح.

فعجب منه: وقال: هذا هو الذي ينبغي له.

وذكر أن الاتحاد الإسلامي يسيطر عليه من أسماهم المبتدعة، وقال: لقد عزلوني بتهمة أنني وهابي، مع العلم بأنه قاسمي أي (ديوبندي) متخرج من مدرسة متفرعة عن مدرسة ديوبند، وصاحبها من المتخرجين من (ديوبند)، وهو باكستاني وديوبند في الهند، وربما كان متخرجاً من مدرسة قاسمية أي ديوبندية أخرى في باكستان فلم أسأله عن ذلك، إلا أنه ذكر أنه سبق أن دعا الشيخ سعود بن شريم وهو إمام في المسجد الحرام، وكذلك الشيخ طه البركاتي مدير معهد الحرم المكي إلى هونغ كونغ، فجاءا وألقيا محاضرات ونصائح مفيدة، وأراد أن يكرر ذلك لحصول النفع منه.

ولكن الإمام الذي بعده وهو (محمد ...) لم يذكر ذلك، وإنما اعتمد على معرفته بالشيخين من واقع معرفته السابقة بهما، فذكر ما فهمت أنه تقدم بدعوة لهما أو لأمثالهما.

وقال الشيخ محمد طيب: لقد كان بين أعضاء مجلس

الأمناء في الاتحاد الإسلامي من يميلون إلى المبتدعين البريلويين، وهذا ما جعلهم يعزلونني.

ونحن في رابطة العالم الإسلامي لا نتدخل في مثل هذه الأمور من أحوال الجماعات أو الجمعيات الإسلامية إلا إذا طلب منا أحد أن نتدخل، وقد نتدخل بدون طلب، ولكن بالنصح والكلام بالتي هي أحسن، بدون فرض الرأي الذي لا نملك فرضه.

ولكنني تعجبت من هذا الأمر الذي لم يخطر ببالي أن يحدث.

وقال يوضح بعض ملابسات علاقته بمجلس الأمناء: لقد اتصل بي أحد أعضاء مجلس الأمناء قائلاً: إن عالماً قد قدم هذه البلاد، لا أدري أهو من الهند أو باكستان، فلتدعه يخطب الناس الجمعة.

قال ولم أكن أعرفه ولا أعرف اتجاهه، فلما خطب ذكر في خطبته في كلام واضح بأن من لم يقل عند دخوله في الصلاة: ((نويت أن أصلي صلاتي للنبي ﷺ لم تصح صلاته)).

قال: فلم أتمالك نفسي أن رددت عليه بعد الصلاة، وبينت للناس أن هذا القول مبتدع، وأن صلاة المسلم تكون لله تعالى.

قال: فمن ذلك مع أشياء غيرها من خلافات أضمروا أن يعزلوني وعزلوني بالفعل.

قال: وأنا الآن متفرغ للعمل في مدراس قرآنية ثلاث، أعمل فيها في أنحاء هونغ كونغ

ويساعدني عدد من الإخوة الشبان المخلصين النشطين في الدعوة، ومنهم هذا الأخ الحاضر معنا.

قال: وكنت سألت مؤذن المسجد عنك فذكر أنك تصلي معهم العشاء كل يوم، لذلك أرسلت هذا الشخص الباكستاني حتى أعرف مكانك، وأخبرك بالموضوع، وبخاصة أنني خرجت إلى المطار لاستقبالك، ولكنك لم تحضر.

هذا وقد لاحظت أن الشيخ (محمد الطيب) هذا قوي الشخصية، سريع التصرف، له علاقة بعدد من علماء المملكة ذكر لي أسماءهم، ربما كان هذا مما سبب عدم طاعته لبعض الأمور التي أرادها مجلس الأمناء، مع اعترافي بأنني لم أعرف رأي مجلس الأمناء فيه من المجلس نفسه، ولكن أحد المصلين حمل عليه، وصوب رأي مجلس الأمناء فيه. والله أعلم..

يوم السبت: ١٤٢٠/٧/٢١هـ ١٩٩٩/١٠/٣٠م

اشتريت هذا الصباح بعض الهدايا للأسرة من مركز لبيع منتوجات الصين، وهو محدد الأسعار، منوع السلع، وأكثر أسعاره رخيص لأن الحياة رخيصة في الصين، أو لنقل إن مستوى المعيشة فيها منخفض، لذلك تكون الأجور منخفضة، وهذا ينعكس على السلع والبضائع الصينية، وكان من أهم ما اشتريته منه مقادير من شاي الصين بالياسمين، وكنت عرفته أول الأمر عن طريق الهدية ممن يأتون إلينا من الصين من الوفود والضيوف.

كما أنني وقد استعضت بالشاي الصيني الذي هو ليس أخضر ولا أحمر، وإنما هو أغبر إن صح أن الشاي وأمثاله من المائعات توصف بالغبرة، فأردت شيئاً منه يكون في أكياس صغيرة، فلم أجد ذلك في بلادنا ووجدته هنا، كما اشتريت بعض الألبسة الصينية المميزة لبعض نسائنا.

مغادرة هونغ كونغ:

في الساعة الثانية عشرة منتصف النهار مر بي الأخ الكريم (علي تينغ) في فندقي، وحمل إحدى حقيبتي وهي تسحب سحباً، فخرجنا من فندق وندسور الذي أقيم فيه سيراً على الأقدام إلى محطة للحافلات التي تخرج إلى المطار، وركبنا مع حافلة ذات طابقين كما هي أكثر الحافلات هذه عندهم، ولهم بها عناية

كبيرة، ولذلك هي نظيفة وواسعة، ولكن عليك أن تخدم نفسك بنفسك فيها، وتحمل أمتعتك إليها بنفسك، لأنه لا يوجد حمالون فيها، ولا في محطات الحافلات، وعليك أن تقطع تذكرتك آلياً من مكان في الحافلة بجوار السائق كتبوا عليه بأن لا يوجد لديهم صرف للعملة، وإنما على الراكب أن تكون معه القيمة المحددة، وهي ٣٣ ثلاث وثلاثون دولاراً هونكقويا.

أعلنت لوحة الحافلة بعد انطلاقها للمطار بأنها تتوقع أن تكون المسافة إلى المطار ٣٥ دقيقة.

اخترقت شوارع (كولون) ذات الأبنية العالية، بل المفرطة في الارتفاع في بعض المواضع، والتي هي غاصة بالسيارات ووسائل النقل الجيدة، وليست فيها دراجات للركشا أو غيرها مما يضايق السائرين.

ولم تقف الحافلة ولا مرة واحدة منذ أن غادرت قلب (كولون)، فوصلنا بعد ذلك إلى أماكن فسيحة ليست عليها أبنية عالية متراصة، حتى وصلنا المطار، فوجدناه واسعاً فيه مكاتب شركات الطيران بكثرة يخيل إليك إذا رأيتها أنها خرجت إلى حد الإسراف، وأن بعضها قصد منه إظهار المكانة للشركة وليس مجرد الحاجة، ولكن الواقع أن الأمر ليس كذلك، وإنما هو بسبب كثرة المسافرين من هذا المطار.

وكانت مكاتب شركة (كاثي باسفيك) التي سوف نسافر معها كثيرة إلى درجة أننا ذهبنا إلى قسم كلم أهله الأخ على تينغ بالصينية فأشاروا إلى قسم آخر، فأحالنا إلى قسم آخر في مكان آخر من المطار.

فأنهينا إجراءات الترحيل، وقطعوا لي التذكرة على درجة رجال الأعمال التي يسمونها (بزنس كلاس)، ونحن نسميها في بلادنا بدرجة الأفق، مع أن تذكرتي مقطوعة في الأصل على الدرجة الأولى، غير أن طائرتهم هذه ليست فيها درجة أولى، مثلها في ذلك مثل طائرة شركة الطيران الفليبينية التي قدمت معها من مانيلا إلى هونغ كونغ.

ونظراً إلى أنني لن أذهب مباشرة إلى (دبي) من هونغ كونغ هذه، وإنما أذهب مع (كاثي باسفيك) هذه إلى مطار بانكوك، ومن هناك مع شركة طيران بروناي إلى دبي، فقد طلبت من الموظفة أن ترسل حقيبتي الكبيرة إلى دبي بدلاً من بانكوك، لأنني في بانكوك راكب عابر، ولن أدخل إلى منطقة تسلم الأمتعة.

وكان الأخ (علي تينغ) جزاه الله خيراً معي حتى وصلت مكاتب الجوازات فودعته.

دخلت أبتغي مكتب (كاثي باسفيك) حتى يختم على

تذكرتي بما يفيد أنني ركبت في درجة رجال الأعمال بديلة من الأولى، فوجدت في قاعات المغادرة مكتباً عليه موظفات ليس لديهن ختم، فكتبن ما يفيد ذلك ووقعت إحداهن عليه.

ثم صعدت مع مصعد خاص إلى غرفة الدرجة الأولى، وغرفة رجال الأعمال، فوجدت في الأخيرة من كثرة الركاب ومن كثرة ما تقدمه لهم الشركة من الأطعمة والأشربة ما عجبت له، إلا أنني لا أستطيع أن أقربها، لكونهم ليسوا من أهل الكتاب التي تحل ذبيحتهم، فضلاً عن كونهم يأكلون أشياء نحن لا نأكلها في الأصل.

لذلك طلبت شطائر معها الجبن والخضرات، فذكرت الموظفة أن ذلك لا يوجد لديهم جاهزاً، لأن الناس لا يطلبونه ويحتاج تجهيزه إلى خمس دقائق.

ثم جاءت به بعد ذلك جيداً نظيفاً، أخذت معه شاياً وعصيراً من عصير البرتقال.

أما الركاب وهم في جملتهم من الصينيين، فإنهم كانوا يأخذون أشياء من غرائب الأطعمة التي تصنعها عاملات لهم، منها نوع من الحساء لا أدري مما هو، ومنها وهو أغربها بالنسبة إليّ نوع من (المكرونه) الدقيقة الطويلة، يأخذونها بسلطانية، ويأكلونها بالأعواد الصينية وحدها، ولاحظت أن الواحد منهم يدخلها في فمه

ثم يقطع خيوطها بأسنانه الأمامية، لأنه لا يستعمل إلا الأعواد التي لا تقطعها، وبخاصة إذا كانت في إناء صغير، وعندما يقطعها يسقط الباقي الممتد منها في السلطانية، ويزدرد ما في فمه منها، وهكذا حتى ينتهي.

ورأيت بكثرة كاثرة من يأتون فيأكلون ما طاب لهم دون أن يدفعوا مقابل ذلك أي شيء، لأن الشركة تتكفل لهم به.

وبعضهم يأكل لحماً لا أدري ما هو، ولكنهم لا يأتون به منفرداً، وإنما هو مع الخضرات والحساء، وهذا في قسم (البزنس كلاس).

أما في قسم الدرجة الأولى، فإنه يوجد مطعم خاص كامل كمطاعم الدرجة الأولى الفاخرة، فيه الموائد المغطاة بالفوط المنشّاة، وفيه الكراسي الفاخرة، إلى جانب ما تطلبه من الأطعمة مما يطبخونه لك إذا لم يكن جاهزاً عندهم.

وهذا عجيب من أمر هذه الشركة، وعندما رأيت ذلك رثيت لحال خطوطنا السعودية التي ليس في غرف ركاب الدرجة الأولى والأفق التي تعادل (بزنس كلاس) إلا بعض المشروبات كالقهوة والشاي وعصير البرتقال والماء.

ومع ذلك لابد من أن تطلع الموظف فيها الذي يكون أجنبياً على تذكرة سفرك وإنها بالأولى، حتى لا يغلط فيعطيك فنجاناً

من الشاي أو كأساً من الماء لا تستحقه.

وهنا عندهم للدرجتين أطعمة متنوعة، ففي درجة البزنس كلاس هنالك ثلاثة غرف، إحداها غرفة الطعام الحار، عليها عدد من الموظفين يغرفون الطعام ويقدمونه، وموظفون آخرون يأتون به من المطابخ مما لا نراه.

والثانية فيها مأكولات خفيفة ملفوفة بأوراق لا نعرفها، لأنها من طعام أهل الصين الذي لا يحل لنا كما قدمت، ومعها سلطانيات الفواكه الطازجة المنوعة، يحضرونها بالعشرات، فيأكل الآكل منها ما يشاء، ويستطيع أن يكرر الأخذ منها أكثر من مرة إذ أراد، وفيه الأشربة المنوعة مما هو حلال كعصير الفواكه، وما هو مغلظ الحرمة كالخمور، وما هو أخف من ذلك في الحرمة كالجعة التي هي البيرة.

والغرفة الثالثة عرضوا فيها الأشربة الخفيفة الحارة من القهوة والشاي والكاكاو وغير ذلك، حتى عددت ما أسموه بالشاي فإذا هو ستة، لأن بعض زهور الأعشاب أحضروها وأسموها شاي كذا.

وفي موائد أخرى خارج هذه المنطقة موائد للكتابة، عليها السماعات القوية لمن يريد الاستماع إلى الموسيقى، وعليها أجهزة الحاسب الآلي الكمبيوتر لمن يحتاج إلى أن يستعملها.

أمـا مـن فـرغ مـن الأكـل والشـرب وأراد الاسـترخاء، فـإن المقـاعد كثيرة موفـرة لـه بمـا يقـرب مـن أن يكـون إسـرافاً مـن الإسراف.

ومـع ذلـك رأيـت مـن زعمـوا أنـهم مـن ركـاب درجـة رجـال الأعمال فوجدتهم كثراً يـأتون بالعشـرات حتـى يتجـاوزوا المائـة في بعض الأحيـان، ممـا حملني علـى أن أقـول إنـه ربمـا كـانت شـركة كاثي باسفيك تسقي وتطعم ركابها من كل الدرجات، ولا أدري صحة ذلك.

وقبل أن يحـين موعـد الدخول إلى الطـائرة حسبما سجلوه في بطاقة دخول الطائرة (بوردنغ باص)، نزلت مع المصعد الذي صعدت به، وهو خاص بمطاعم ومشارب هـذه الشـركة، ثـم سـرت أهتـدي برقم البوابة الموجود على البطاقة حتى رأيته نزل مـع سلم كهربائي متحرك، ما لبث أن قادني إلى قطـار كهربائي سـار بنـا فترة حتـى وقـف عنـد بـاب آخـر في قاعـة للمغـادرة أخـرى، فصعدنـا مـع درج متحـرك كهربائي آخر، ثـم أخذنـا مدة طويلـة نسير بعده مـهتدين باللافتـات الإرشـادية، حتـى وصلنـا إلى البوابـة الـتي سـتطير منـها طائرتنا وهي رقم ٤٩.

وغـادرت طـائرة (كـاثي باسفيك) الـتي ركبـت معـها مطـار هونـغ كونـغ في السـاعة الرابعـة والدقيقـة الثامنـة عصـراً قـاصدة

مطار بانكوك. ولله الحمد.

والحديث عما بعد بانكوك في هذه السفرة في كتاب: ((الإشراف على أطراف من المشرق العربي))، والله يلطف بك وبي.

*****

***

*

الفهرس